جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية الآداب واللغات
قسم الآداب واللغة العربية

مذكرة ماستر

الميدان:لغة وأدب عربي
الفرع:دراسات أدبية
التخصص:أدب عربي حديث ومعاصر

رقم: أدخل رقم تسلسل المذكرة

إعداد الطالب:
عورابي شافية، ترغيني رزيقة

يوم: 20/06/2023

جدلية الشرق والغرب في رواية الحفيدة الأميريكية "لإنعام كجه جي"

لجنة المناقشة:

زوزو نصيرة	أ.د	جامعة محمد خيضر بسكرة	مشرف ومقرر
جوادي هنية	أ.د	جامعة محمد خيضر بسكرة	رئيس
قرين جميلة	أ .م.أ	جامعة محمد خيضر بسكرة	مناقش

السنة الجامعية : 2022 - 2023

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

شكر وعرفان

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"من لم يشكر الناس لم يشكر الله" حديث صحيح،

أما بعد، فإنا نحمد الله جلا وعلا، على ما أتانا من فضله، فقد هيأ لنا كل الظروف ويسر لنا إنجاز هذا العمل بفضله العظيم وكرمه العميم، فله . أولا وآخرا، على كل شيء سبحانه تعالى، ثم نتقدم بجزيل الشكر للأستاذة المشرفة زوزو نصيرة التي لم تبخل علينا بنصائحها وتوجيهاتها القيمة والتي أنارت لنا طريق البحث، كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى أعضاء لجنة المناقشة الموقرة، الذين سيفيدوننا بأفكارهم وتوجيهاتهم التي ستثري هذا البحث و ترتقي به إلى مستوى أفضل أن شاء الله ، والشكر موصول إلى كل أساتذة القسم و كل من مد لنا يد العون من قريب أو بعيد.

والله ولي التوفيق.

مقدمة

تعد قضية الشرق والغرب من أهم القضايا التي عرضت على مائدة البحث والنقاش الواسع، وبالأخص في الرواية العربية، والتي عكست لنا الصراع بكل أبعاده وصورته تصويرا شاملا عبر مجموعة من الرؤى والصور المتقابلة، سواء أكانت إيجابية أم سلبية.

وهذا الصراع كان نتيجة اللقاء الحضاري بين الأنا (العربية) والآخر (الغربي)، مع اختلاف الهويات وتقاطعها. والذي تعرض له المؤلفون في متونهم الروائية، ومن بين هذه الإنتاجات الأدبية الأولى التي رصدت لنا إشكالية الشرق والغرب روايات: تخليص الأبريز في تلخيص باريس لرفاعة الطهطاوي، والحي اللاتيني ليحى حقي، وموسم الهجرة إلى الشمال لطيب صالح، وعصفور من الشرق لتوفيق الحكيم.وكان من ضمن هذه الإنتاجات أيضا الحفيدة الأميريكية للكاتبة العراقية إنعام كجه جي، التي وقع عليها اختيارنا في بحثنا هذا والموسوم بـ : جدلية الشرق والغرب في رواية الحفيدة الأميركية لإنعام كجه جي.

قد تناولت هذه الرواية جدلية الشرق والغرب بشكل متميز ومختلف، حيث تعرضت لمواضيع تلامس الواقع والمجتمع، مثل: الهوية، والتبعية، التحول الثقافي والانتماء، كما تم فيها تصوير الشرق والغرب ككيانين مختلفين تماما، صورت المؤلفة الفروقات المتشكلة بين الثقافتين، بما فيها من قيم وعادات وتقاليد مختلفة، وتأثيرها على حياة الشخصيات الرئيسية في الرواية.

وأظهرت التوترات والتحديات التي نشأت بسبب هذه الفروقات، بما في ذلك من صراعات ومشاكل هوياتية.

ولعل ميولنا لمثل هذه المواضيع الشيقة دفعنا لاتخاذ هذه الرواية موضوعا لدراستنا في هذا البحث، وذلك بهدف الإجابة على الأسئلة الآتية:

– ما الشرق والغرب، وما الظروف التي جمعتهما؟

– كيف جسدت لنا إنعام كجه جي هذا الصراع القائم بين الشرق والغرب؟ وكيف كانت نظرة كل منهما للآخر؟

وللإجابة على هذه الإشكالية اعتمدنا على خطة مكونة من مقدمة و فصلين وخاتمة.

أما الفصل الأول الذي وسمناه ب: ثنائية الشرق والغرب في الرواية، فقسمناه إلى ثلاث عناصر، خصصنا الأول منه لضبط المصطلحات، أما الثاني فتطرقنا فيه إلى العلاقة التاريخية بين الشرق والغرب وظروف الاحتكاك بينهما، أما بالنسبة للعنصر الثالث فقد رصدنا فيه مواقف الشرق تجاه الغرب في الرواية العربية.

أما الفصل الثاني موسوما بـ: الصراع الهوياتي وصوره في رواية الحفيدة الأميركية لإنعام كجه جي، قسمناه إلى أربعة عناصر، حيث وضحنا في الأول منه معنى الهوية وتشظيها، وأما بالنسبة للعنصر الثاني فتطرقنا فيه إلى صراع الذات بين الشرق والغرب، ووضحنا في العنصر الثالث الصراع الهوياتي القائم بين الشخصيات الرئيسية في الرواية، وأخيرا تحدثنا عن صور الشرق(العراق) والغرب (أمريكا) الموجودة في الرواية.

وتلا هذين الفصلين خاتمة حاولنا أن نلم من خلالها أهم النتائج المتوصل إليها، وقد اعتمدنا في سبيل تحقيق كل هذا على المنهج الوصفي الذي رأيناه أنسب المناهج النقدية لمثل هذه الدراسة، بالإضافة إلى المنهج التاريخي الذي استعنا به في تتبع سرد بعض الأحداث والظروف التاريخية التي من خلالها تشكلت علاقة الشرق بالغرب

وقد استندنا في بحثنا هذا على مجموعة كتب أهمها:

- رواية الحفيدة الأميركية لإنعام كجه جي.
- الاستشراق لإدوارد سعيد.
- صورة الغرب في الرواية العربية لسالم معوش.
- تاريخ العرب من بداية الحروب الصليبية إلى نهاية الدولة العثمانية لعيسى الحسن.

وكالمعتاد في إنجاز البحوث الأكاديمية، تعرضنا لبعض الصعوبات مثل شساعة الموضوع وشموله، مع ضيق الوقت الذي لم يسعفنا في الغوص أكثر في أعماق البحث وسبر أغواره.

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نتقدم بجزيل الشكر للأستاذة المشرفة "زوزو نصيرة" التي لم تبخل علينا بنصائحها وتوجيهاتها القيمة، والتي أنارت لنا طريق البحث، كما نشكر كل من مد لنا يد العون من قريب أو بعيد، والله ولي التوفيق.

الفصل الأول: ثنائية الشرق والغرب في الرواية

1/ ضبط المصطلحات

1-1 مفهوم الجدلية (لغة واصطلاحا)

2-1 مفهوم الشرق

3-1 مفهوم الغرب

2/ احتكاك الشرق بالغرب (العلاقة التاريخية)

2-1 الحملات الصليبية

2-2 الظاهرة الاستعمارية

2-3 الحملة الفرنسية

2-4 الرحلات والمغامرات

2-5 المثاقفة

2-6 العولمة

3/ مواقف الشرق اتجاه الغرب في الرواية العربية

3-1 الرؤية الانبهارية

3-2 الرؤية العدوانية

3-3 الرؤية الحضارية

1- ضبط المصطلحات:

تعد ثنائية الشرق والغرب مادة دسمة أثارت العديد من الدارسين، وقبل أن نخوض في أمرها، وجب علينا الوقوف عند دلالة هذه الثنائية، باعتبار أن بيان المصطلح هو المدخل إلى كل مسألة هي محل البحث.

1-1 مفهوم الجدلية لغة واصطلاحا:

ورد في "القاموس المحيط" ضمن مادة (جدل) ما يأتي: «تجدله أو يجدُله ويَجدِله، أحكم فتله، والجديل الزمام المجدول من أدم، وحبل من أدم أو شعر في عنق البعير والجَدَلُ: اللّدد في الخصومة والقدرة عليها، جادله فهو جَدِلٌ أو مِجدلٌ...»[1]

وعليه فالمقصود بالجدل هو المحاججة وتطور الحوار في الخصومة، مع القدرة على الإقناع واستعمال أسلوب الحجاج في الدفاع عن الأفكار الذاتية، بشكل يبين مقدرة المخاطب على الجدال.

ويمكن البحث عن فحوى معنى مصطلح الجدلية من خلال المقولات التي جاء بها الفلاسفة القدامى مثل: سقراط الذي يرى بأن الجدل «يأخذ معنى الحوار أي النقاش لقناعته بأن المعرفة موجودة داخل الإنسان لكنه لا يدركها إلا عن طريق واحد وهو الجدل أو الحوار»[2]، وعلى هذا الأساس يكون الحوار والمجادلة أداة يستعملها الإنسان من أجل الوصول إلى حقائق وإجابات للتساؤلات التي تعترض فكره وحياته، إذ من خلال الجدل يمكن أن تصبح المعرفة ممكنة[3].

---

[1] الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مادة (ج د ل)، دار الحديث، مصر، ط1، 2008، ص 248.

[2] شوقي الموسوعي، جغرافية الجدل في الفكر والفلسفة، الفن للطباعة والنشر، دمشق، ط4، 2011، ص 23.

[3] ينظر :كوثر حميس وذهبية هاشمي، الجدلية التاريخية في المفهوم الفلسفي كارل بولر–أنموذجا–، مذكرة ماجستير، بإشراف محمد بو داني، جامعة الجيلاني بونعامة، خميس مليانة، الجزائر، 2020/2019، ص 10.

كما تعرف الجدلية على أنها:«طريقة في المناقشة والاستدلال»[1] وللجرجاني كلام مفصل في شأنها، إذ يقول بأنها:«القياس المؤلف من المشهورات أو مسلمات والغرض منها إلزام الخصم وإفهام من هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان».[2]

فمن خلال ما ذكر حول الجدلية نجد بأنها طريقة في الحوار والمناقشة تسعى للبحث عن المعرفة من خلال تبادل الطروحات الفكرية بغية إفهام طرف في الكلام.

1-2 مفهوم الشرق:

يعرف الشرق في كثير من الأحيان على أنه «الأرض التي تقع خارج حدود الغرب ليتشكل من الحضارات العظيمة التي تقع شرق الغرب: الإسلام والصين والهند واليابان»[3]وعلى هذا ترتبط هذه التسمية بالناحية الجغرافية، إذ هي تقسيم "جغرافي"، يرى في كون الشرق ما جاء شرق الغرب، ويضم حضارات عريقة مثل:بلاد الإسلام والصين والهند.

أما بالنسبة إلى بداية تداول هذا المصطلح فقد«أطلقه الأوروبيون الكاثوليك على البلاد الخاضعة للإمبراطورية البيزنطية، منذ أن انقسمت الإمبراطورية الرومانية إلى الشطرين المعروفين، ومن ثم أطلقه الأوروبيون على بلاد الإسلام فيما بعد»[4]،

وعليه فالغرب من المسيحيين ممن أطلقوا على البلاد المقابلة لهم من الناحية الجغرافية الشرق، ثم توافق الأوروبيون على اصطلاح لفظ الشرق على بلاد الإسلام، إذ كانت «حضارة

---

[1] مجموعة من الباحثين، المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة للشؤون، المطابع الأميرية، مصر، (د.ط)، 1983، ص 59.

[2] الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تح/محمد المنشاوي، دار الفضيلة، مصر، ط2، (د.ت)، ص78.

[3] ضياء الدين سردار، الاستشراق، صورة الشرق في الآداب والمعارف الغربية، تر/ فخري صالح، أبو ظبي، الإمارات، ط1، 2011، ص22.

[4] محمد راتب الحلاق، نحن والأخر، دراسة في بعض الثنائيات المتداولة في الفكر العربي الحديث والمعاصر، منشورات اتحاد الكتاب العرب، (د.ط)، 1997، ص10.

الإسلام وحضارة العرب اسما لحضارة الشرق في القرون الوسطى، ولكن لم يكن العرب وحدهم مبتكري هذه الحضارة»[1]، في إشارة إلى جميع سكان الشرق وإفريقيا ممن أسهموا في تكوين حضارة الشرق.

يقول إدوارد سعيد بأنه: «مجموعة الأقطار المنتشرة في آسيا وبعض الأقطار في إفريقيا، ممّا يطل على حوض البحر الأبيض المتوسط وبعض من أجزاء أوروبا الشرقية»[2]، لنجد أنه أضاف للشرق أجزاء من الشرقية زيادة على ما ذكر سابقا.

والشرق يحدد بأنه: «آسيا وجزء من مصر وأوروبا نسبيا باعتبار أوروبا الغربية»[3]، وبالنظر فيما جاء من تعريفات يتبين أنّ المعيار الحقيقي لهذا المصطلح لم يكن جغرافيا أو بقعة معينة، وإنما راجع إلى خلفيات وعقائد ومصالح معينة.

وعليه فالشرق من خلال ما ذكر:«اصطلاح ابتدعته أوروبا لكل أرض وراء حدودها شرقا إلى اليابان، يبدو أن هذا المصطلح بدأ يتزحزح عبر قرون ليقتصر في مفهومه العام والغامض أيضا على الشرق الأوسط وما في هذا الشرق من أديان، وثقافات أو حضارات مختلفة».[4]فمصطلح الشرق في بدايته كان مصطلحا فضفاضا، إلّا أنه مع تقدم الزمن أصبح ضيقا مقتصرا على الشرق الأوسط بكل ما يضمه من ثقافات وديانات ومعتقدات.

1-3 مفهوم الغرب:

إن مصطلح كلمة "الغرب" تعدد مفهومها، إذ يقصد به جملة من الدول الأوروبية بالإضافة إلى دول أمريكا الشمالية ونواحيها، ومن الدّول التي تنتهج نهجها العقائدي

---

[1]محمد حسين هيكل، بين الحضارتين الإسلامية والغربية، دار الوفاء، ط2، 1999، ص156.

[2] إدوارد سعيد، الاستشراق، تر: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، لبنان، ط2، 1984، ص 101.

[3]Dictionnaire encycl. dépique Larousse .Paris1960 , p 446

[4]قاسم السمرائي، الاستشراق، بين الموضوعة والانفعالية، دار الرفاعي للنشر والتوزيع، السعودية، ط1، 1403هـ، ص 107.

والسياسي ويسر في نظامها سواء من ناحية الجانب السياسي أو الاقتصادي والاجتماعي والثقافي...الخ[1]، ومصطلح الغرب على هذا الأساس« يضم عدة دول وعدة قوميات»[2]، إضافة إلى ثقافات متنوعة.

والغرب لفظة تطلق على تلك «الشعوب التي شاركت في الحروب الصليبية والتي تعرف حاليا باسم: بريطانيا وهولندا ، بلجيكا، فرنسا، ألمانيا و البرتغال، وهي دول تشترك في أحلاف عسكرية مع أستراليا وكندا والولايات المتحدة وتشمل ما يعرف باسم الكتلة الرأسمالية وأحيانا باسم الغرب»[3]، فمن خلال هذا التفصيل الذي أورده "إدوارد سعيد" في مكونات أو جمع الدول التي تشكل اصطلاح لفظة "الغرب"، يمكننا القول بأن الغرب مصطلح لا يرتكز على الرقعة أو الفضاء الجغرافي بقدر ما يرتكز على المفهوم الحضاري الذي يرى بأن: «الحضارة الغربية هي حضارة التقدم و التطور وهو الأساس الذي تقوم عليه، وهي إلى ذلك تقدس المادة ولا تعترف إلا بكل ما هو ملموس، حضارة تعتمد على السرعة والربح السريع غايتها و التسلط والاستعمار و الاحتقار والدونية هو أسلوبها الأمثل في تعاملها مع الآخر»[4]

فالغرباء الحضارة الغربية أساس فكرها يقوم على الطبقية والجشع والاستعمار وتضخيم الذات وتقزيم الآخر، على اعتبار أنها الحضارة المتطورة وما عداها حضارات دونية لا يمكن أن تقوم لها قائمة دون العاجزة إليها في جل أمورها.

---

[1] ينظر: جدل الشرق والغرب في رواية موسم الهجرة إلى الشمال للطيب صالح، إكرام بن حوحو وفيروز بشيري، مذكرة لنبل شهادة الماستر، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، 2019/2018، ص8.

[5] محمد عابد الجابري، الإسلام والغرب، الأنا والأخر، الشبكة العربية للأبحاث، بيروت، ط1، 2009، ص179.

[3] إدوارد سعيد، الاستشراق، ص8.

[4] إكرام بن حوحو وفيروز بشيري، جدل الشرق والغرب في رواية موسم الهجرة إلى الشمال، ص 08.

فالغرب وحضارتهم على خلاف الشرق يختلفون في اللسان (اللغة) والعقائد المسيحية، فكانت «أوروبا وأمريكا مجموعة من الدول التي تنطق كل منها بلغتها القومية الخاصة»[1]، فبالرغم من اختلاف لغاتهم و مقوماتهم إلّا أن الغرب كان «عنوان السيطرة والهيمنة والبطش والاستعلاء ونزاعات التفوق والمركزية الذاتية»[2]ترى في الآخر الهامش الذي لابد أن ينجذب إلى الآخر وأن يكون محكوما عليه بالتبعية والطاعة المفروضة نظرا لعدة أمور منها لون الجنس واللسان (اللغة) والتخلف والجهل والفقر، كل هذه الأمور تؤهل للغرب –في نظرهم– بسط سيادتهم بالقوة على الآخر واعتلاء سدة الحكم السياسي العالمي من غير شروط، بل عدّوها حقا مشروعا لهم.

2- احتكاك الشرق مع الغرب(العلاقة التاريخية):

2-1 الحملات الصليبية:

وهي مجموعة الحملات والحروب التي قام بها الأوربيون منذ أواخر القرن الحادي عشر الميلادي حتى الثلث الأخير من القرن الثالث عشر (1096م-1291م) للسيطرة على الأراضي المقدسة وتخليص بيت المقدس من أيدي المسلمين.

كما يعرفها "سعيد عبد المفتاح عاشور" بأنّها: «حركة كبرى نبعت من الغرب الأوروبي المسيحي في العصور الوسطى، واتخذت شكل هجوم حربي استعماري على بلاد المسلمين وخاصة في الشرق الأدنى بقصد امتلاكها. وقد انبعثت هذه الحركة عن الأوضاع الفكرية والاجتماعية والدينية التي سادت غرب أوروبا في القرن الحادي عشر، واتخذت من استغاثة المسيحيين في الشرق ضد المسلمين ستارا دينيا للتعبير عن نفسها تعبيرا واسع النطاق».[3]

---

[1] سالم معوش، صورة الغرب في الرواية العربية، مؤسسة الرحاب، لبنان، ط1، (د.ت)، ص7.

[2] عبد الإله بالقزيز، دراسة في مقالة الحداثيين، الرباط، ط1، 2007، ص48.

[3] سعيد عبد المفتاح عاشور، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ط)، 1972، ص15.

وكانت الحروب الصليبية الفصل الأخير من مسرحية العصور الوسطى ولعلّها أجدر الحوادث بالتصوير في تاريخ أوروبا والشرق الأدنى، فهي تمثل أول اتصال حركي تم بين الشرق والغرب أو لنقل بين المسيحية والإسلام الذين عمدوا في نهاية المطاف وبعد قرون من الجدل والنقاش إلى فض النزاع والصراع بينهما «وقد خرج منهم لهذه الحرب أكثر من مليون محارب، هلكوا كلهم جراء القتال والمجامعة والطاعون، ولم يصل منهم إلى أبواب بيت المقدس سوى عشرين ألف محارب، وكان تصرفهم في غاية القسوة والوحشية لم يرحموا النساء ولا الأطفال ولا الشيوخ إلى حد أن بيت المقدس التي كان فيها ثلاثين ألف ساكنا فزعت من سكانها فلم يبقى منهم بعد الغزو الصليبي سوى ثلاثة آلاف [1] إضافة إلى هذا تقول الباحثة "ماري لباز":« أثناء الحرب الصليبية الأولى 15 جويلية 1099م احتل الصليبيون بيت المقدس، وقتلوا ونكلوا بالمسلمين واليهود ونهبوا المدينة واحرقوا العديد من الأحياء، وهدّموا المنازل والجوامع والكنائس اليهودية [2] وبهذا الفعل الذي أقدم عليه الصليبيون لا يمكن مقارنته إلا بتصرفات أشد البرابرة وحشية، لأنهم يقتلون دون رحمة أو تمييز.

ونظرا لامتداد الحروب الصليبية قرنين من الزمن، احتك أثناءها الغرب بالشرق، وبذلك يعد هذا من أبرز المسالك نقلا لحضارة الإسلام إلى قارة أوروبا، فعندما وجد الصليبيون أنفسهم أمام حضارة عربية إسلامية ذات إشعاع عظيم، أعجبوا بهذا الإشعاع ولمسوا التفوق

---

[1] ينظرمحمد العربي بن عزوز، زمن هنتغنتن (صدام الحضارات ونهاية التاريخ)، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2009، ص89.

[2] المرجع نفسه ، ص89.

السياسي والاجتماعي عند العرب، فعادوا يحملون انطباعاتهم وينشرون الدعوة إلى إصلاح يبدأ بتحرير الفكر وتسهيل التبادل المادي والفكري.[1]

وعند انتهاء الحروب الصليبية بهزيمتها، لم يجن الصليبيون من حربهم على العرب سوى الخراب، ولم يحققوا شيئا من أهدافهم، وبقيت فلسطين وبيت المقدس لأهلها الأصليين بعد حرب هوجاء مدمرة، وفي المقابل عندما انتصر العرب وكانت لهم الغلبة لم ينكلوا بالصليبيين وخير مثال: "صلاح الدين الأيوبي" عندما استرجع بيت المقدس، أمر بعدم الاعتداء على أي صليبي ولم يلحقوا بهم أي أذى.

لقد «خرج الصليبيون من بيت المقدس محروسين بالجند الإسلامي فوصلوا آمنين إلى مدينة صور»[2] وفي مقابل هذا حين أصبح الصليبيون سادة المدينة المقدسة قتلوا المسلمين وأحرقوا اليهود بدون رحمة.

إذا نظرنا إلى الحروب الصليبية من حيث أغراضها المباشرة قلنا: أنها أخفقت لا محالة فبعد أن دامت هذه الحروب قرنين من الزمن بقي بيت المقدس في أيدي المماليك، وقلّ عدد الحجاج المسيحيين إلى تلك المدينة وزادت مخاوفهم، إضافة إلى هذا أن الحكومات الإسلامية التي تميزت بتسامحها مع أصحاب الأديان الأخرى ذهب عنها تسامحها بسبب الهجمات المتكررة على بلادها.[3]

فكما أسهم الصليبيون في الماضي بنشر ثقافة الخوف والرعب بفعل الأعمال الوحشية التي واجهوا بها العالم العربي، سعى الصليبيون الجدد، أو المحافظون الجدد إلى إعادة

---

[1] ينظر:عيسى الحسن، تاريخ العرب من بداية الحروب الصليبية إلى نهاية الدولة العثمانية، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط2، 2001، ص335.

[2] عيسى الحسن، تاريخ العرب من بداية الحروب الصليبية إلى نهاية الدولة العثمانية، المرجع السابق، والصفحة نفسها.

[3] ينظر: ول وايريل ديو رانت، الحروب الصليبية ونهضة أوروبا، دار نوبلس، القاهرة، مصر، ط1، 2008، ص60.

إحياء الأحقاد القديمة، ونشر فكرة الصدام، بحجة أن العرب يرفضون التطور، وأنهم حاقدون على الغرب؛ لأنهم عجزوا عن الالتحاق به في المجالات الصناعية والتكنولوجية. « فعند نهاية الحروب الصليبية، قامت النهضة الأوروبية وأخذت تخلع ثوب القرون الوسطى وتوقف النمو أو كاد في الشرق وانتهى بالسيطرة الكاملة للغرب على الشرق وبزغت الظاهرة الاستعمارية» [1] والتي أخذت أشكالا وألوانا من وطن آخر.

2-2 الظاهرة الاستعمارية:

الظاهرة الاستعمارية هي ظاهرة حضارية ترتبط بمراحل التطور الإنساني ومظاهره، سواء أكانت أخلاقية أو سياسية أو فكرية أو علمية، وهذا الاستعمار كان شرا ونقمة على البشرية، لأنه سلبه من كل مظاهر الإنسانية «ذلك العدوان الآتي من الخارج عسكريا كان أو سياسيا أو اقتصاديا أو فكريا، أو بعبارة أخرى هو أثر الخارج على الأمة، متى كان هذا الأثر يجري بغير رضاها ولغير صالحها»[2] .

وقد عرف الاستعمار بأنه نزوع الدولة الكبيرة إلى فرض سلطانها على البلدان الأخرى وبسط سيطرتها عليها بمختلف الوسائل السياسية والاقتصادية والعسكرية، ومن أمثلة الاستعمار؛ الاستعمار الفرنسي للجزائر، والاستعمار عموما ينقسم إلى قسمين: استعمار جلي (مباشر)، واستعمار خفي (غير مباشر)[3] وغير ذلك من أشكال الهيمنة المختلفة المفضوحة والخفية والبسيطة والمعقدة، مثل: الأحلاف العلنية والسرية والضغوطات المنتشرة على البلدان الضعيفة، وغيرها من أشكال الابتزاز والتخويف، وهي إستراتيجية عسكرية

---

[1] مصطفى نبيل، العرب وعلاقتهم بالغرب، كتاب العرب، المغرب، ط1، 1999، ص91.

[2] إبراهيم محمود عبد الباقي، الخطاب العربي المعاصر عوامل التبادل الحضاري في الكتابات العربية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 2008، ص365-366.

[3] ينظر: عماد بلوافي، جدلية الشرق والغرب في رواية عصفور من الشرق لتوفيق الحكيم، مذكرة لنيل درجة الماستر، جامعة العربي بن مهيدي، أم بواقي، الجزائر، 2014/2013، ص22، ص23.

وسياسية واقتصادية هدفها الحصول على مواقع نفوذ والسيطرة على دول وشعوب ضعيفة لخدمة أهداف الهيمنة «لقد عمل الغرب الاستعماري على أحكام سيطرته على الأمة وتبعيتها له على وجه شامل وتطلب ذلك منه إضافة السيطرة العسكرية والسياسية والاقتصادية ثلاث أمور هي: التركيز على جانب الغزو الثقافي– الحضاري والتركيز على تجزئة الأمة وتعميقها، وزرع الكيان الصهيوني في فلسطين»[1]؛ إذن فالاستعمار يبرر وجوده في المناطق التي احتلها وسيطر عليها بكونها تضم شعوبا مختلفة بينما يعتبر شعوبه شعوبا متقدمة ومتحضرة، ولهذا لابد للعربي أن يسافر للغرب لاكتشاف هذا التقدم والتحضرالذي تحظى به الشعوب الغربية والتعرف على طريقة تفكيره والتزود بالعلم والمعرفة، واكتشاف الاختلاف والفوارق بين الشرق والغرب، فكانت الرحلة هي السبيل الأوحد لمعرفته ومواجهته.

2-3 الرحلات والمغامرات:

تعد الرحلات وسيلة لجمع المعارف بشتى أنواعها واختلافها، فقد كانت فرصة لاكتشاف الآخر والأخذ منه وإثارة الشعور بالمنافسة والرغبة في التفوق والطموح إلى السيادة، وكل ذلك لا يمكن تحققه مادام العربي في قصره أو في معمله لا يبرحه. وعليه فقد اكتسبت نصوص الرحلة في التاريخ الثقافي العربي طمعا خاصا، وكانت مرآة قرأ فيها المسلمون ملامح مجتمعات أخرى خارج دار الإسلام لتنتج في وعيهم مفهوم الآخر في «الرحلة تعني الدراسة الوصفية لأسلوب الحياة ومجموعة التقاليد والعادات والقيم والأدوات والفنون والمأثورات الشعبية، وهو ما يسمى بالمصطلحات العلمية (الأثنوجرافيا)ومن المؤكد أن أجمل ما في أدب الرحلات هو أنه تقييم الذات وفهم الآخر ذلك لأن التنوع الثقافي يسهم تلقائيا بالتجدد والسير في ركب التطور»[2]

---

[1]إبراهيم محمود عبد الباقي، الخطاب العربي المعاصر عوامل التبادل الحضاري في الكتابات العربية، المرجع السابق، ص367.

[2]عبد المجيد جرادات، ثقافة المعرفة والتفكير الاستراتيجي، عالم الكتب الحديث، (دط)، عمان، 2017، ص48.

أن الرحلات كونها تسهم في تثقيف الإنسان نتيجة الاختلاط والتفاعل مع الشعوب المختلفة، فهي تعد أحد أهم مصادر المعرفة المفيدة.

إذن « أدب الرحلات هو نوع من الأدب الذي يصور فيه الكاتب ما جرى له من أحداث وما صادفه من أمور أثناء رحلة قام بها في أحد البلدان وهي من أهم المصادر الجغرافية والتاريخية والاجتماعية، لان الكاتب يستقي المعلومات والحقائق من المشاهدة الحية والتصوير المباشر ما يجعل قراءتها غنية ممتعة ومسلية»[1] .

ولقد تعددت أوجه الرحلة وأغراضها بمرور الوقت، فالغرب مثلا استعملها لصالح أغراضه الشخصية مثل الجوسسة، والرّحالة الفرنسيون الذين أكثروا من رحلاتهم خلال القرن السابع عشر والثامن عشر، كانوا على صلة مع العناصر اليهودية وبعض عناصر المماليك في مصر، فقد قاموا بدراسة كافة الجوانب السياسية والاقتصادية والفكرية والعسكرية بأدق تفاصيلها، وكل هذا حرصا منهم على ترويج أفكارهم، وزعمهم للمحافل الماسونية اليهودية في مصر، خدمة للمشاريع الغربية التي تسعى لاستعمار واستغلال الدول العربية. كما أن هناك طائفة من الرحالة العرب الذين حرصوا أثناء رحلاتهم على تدوين مشاهداتهم، وذكر المواقف المتميزة التي وقعوا فيها وهم يجولون البلاد، فهؤلاء الرحالة أسهموا بما سجلوه في توفير معارف متنوعة المجالات وذات قيم عظيمة « أدب الرحلة في التراث العربي كنز من المعارف يحتشد بالثروات التي تنتظر الكشف عنها، ومعرض كبير يضم أعمال عظيمة، سطر صفحاتها رجال مخلصون، هيأهم الله كي يقتحموا المجهول فوهبوا أعمارهم ونور

[1]مقال من الانترنت، موقع: / http//ar wikipidia.org/wiki /03/31/ 2023، الساعة 09:55.

عيونهم لهذه المهام التاريخية الجليلة التي مكنت من حفر اسم العروبة والإسلام بين أهم بنات الحضارة الإنسانية ». [1]

إذا فقد كانت العلاقة بالآخر (الغرب) من خلال الرحلة والمعاينة والمقارنة، تؤسس فكرة الآخر في الوعي العربي، وتنبه إلى الفجوة التي تفصل مجتمعات الإسلام عن مدينة وعن منسوب التقدم لديه، فتنزله منزلة الميزان الذي يكبل بيه المسلمون ليعرفوا مقدار ما في حوزتهم من أسباب الكينونة التاريخية والحضارية، لكن قراءة الآخر تتحول في الوقت نفسه إلى مناسبة لقراءة النفس والذات في مرآته وفي المقابل يعمل الغرب على جعل الرحلة وسيلة للتعرف على شعوب الشرق وذلك بعرض نماذج من الحضارة الغربية عليهم بهدف زعزعة دينهم في نفوس الشرق.

2-4 الحملة الفرنسية على مصر:

وقد« قام بها الجيوش الفرنسية بقيادة نابليون بونابارت، بغرض جعل مصر قاعدة إستراتيجية تكون نواة الإمبراطورية الفرنسية في الشرق وبعد فشل أهدافهم وانهزامهم أمام الجيوش الإنجليزية، رحلوا عن مصر عام 1801م بعد قضاء حوالي ثلاث سنوات »[2] .

تعد حملة نابليون بونابارت مواجهة ثقافية بين الشرق والغرب أكثر منها عسكرية، لأنها جلبت معها وسائل تثقيفية ومصاحبات علمية وتقنية جديدة، إنها صدمة الحداثة التي جعلت العرب يكتشفون أنهم ظلوا قرونا طويلة مغمضي الأعين، ذلك لأنهم بقوا طويلا تحت

---

[1] فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية، القاهرة، مصر، ط1، 2002، ص 545.

[2] الحملة الفرنسية على مصر، مقال من الانترنت: http://ar.m.wikpedia.org، 05/04/2023، الساعة: 10:04.

ظلال سلطة أوهمتهم أنها الأقوى بلا منازع، ولم يقف العالم العربي من حلمه إلا والعالم الغربي يقتحم معاقل بيوتهم ويبدل معالم حياتهم ويستبدل نمطهم العربي بنمطه الأوروبي.[1]

وقد نختلف حول الآثار التي خلفتها هذه الحملة على مصر والعالم العربي كله، فبينما يرى المؤرخون الغربيون أن هذه الحملة هي الجسر التي استطاعت هذه البلاد خاصة والعالم الشرقي عامة، أن تعبر عليه إلى أفاق العالم الجديد، وأن تتطلع إلى الحضارة الجديدة والخروج إلى عالم الأنوار بعدما لازمها الظلام طويلا، يذهب المؤرخون في الشرق إلى أن تلك الحملة كانت مرحلة قائمة ومظلمة في تاريخ مصر والشرق. إذا أسهمت في تفتيت الوحدة، وتكريس الفرقة« إضافة إلى ما جلبته من عادات غربية وغريبة لا تتماشى وتقاليد هذه الشعوب».[2]

والواقع أن هذه الحملة قد ربطت إلى حد كبير بين الشرق والغرب، فقد «تعرف فيها المصريون على الحضارة الغربية بمزاياها ومساوئها»[3]

كما أن الأنا الشرقية تعرفت على نفسها من خلال مرآة الآخر المتمثلة في الجيوش والعناء العسكري والعلمي، فبواسطته رأت وعيها القومي وأدركت تخلفها أمام الآخر ورأت ضرورة تغيير حالها وواقعها.

ومهما يكن لحملة بونابارت من إيجابيات على العالم الشرقي بصفة عامة ومصر بصفة خاصة فقد كانت لها سلبياتها، فهذه الحملة لم تكن كلها حضارة مهداة إلى الشرق لإخراجه من تخلفه وركوده« دخل الفرنسيون مصر غزاة فاتحين، فأساؤوا إلى الناس في معاشهم وعقائدهم ومقدماتهم، فكان للحملة الفرنسية فضائحها وأخطاؤها الشائنة»[4]

---

[1] ينظر:هشام علي، شرق رامبو، دار العلوم، اليمن، ط1، 2004، ص 20.

[2] محمد شكري، الحملة الفرنسية وخروج الفرنسيين من مصر، دارا لفكر العربي، القاهرة، ط1، (د ت)، ص 05.

[3] مقال من الانترنت، موقع http://ar.m.wikipidia.org، 05/04/2023.

[4] عبد الرحمان الجربيتي، عجائب الآثار، مطبعة لجنة البيان، القاهرة، ط1، 2000، ص10.

وهذا ما جعل الناس يتمنون بفارغ الصبر أن تنتهي لأنهم عايشوا معها الأسى والويلات.

فانتهت الحملة ولكن مخلفاتها لم تنتهي، فبقيت ضاربة في أعماق الفكر العربي الشرقي، فقد ولدت صراعا حضاريا جديدا بين الشرق والغرب على المستوى الفكري، وانعكس ذلك على الثقافة العربية، ومن أشكال ذلك الصراع، صراع بين الأصالة والمعاصرة ثم صراع بين العلم والدين.

وما نخلص إليه حول اتصال الشرق والغرب الذي ابتدأ مع الحملة على مصر إنه فتح الكثير من القضايا وخلف الكثير من التراكمات حتى بين المفكرين حيث انقسموا إلى ثلاث فئات، فريق يرفض الغرب وحضارته، وفريق يرفعه إلى مرتبة المثال، وفريق يحبذ الأخذ والعطاء بين الشرق والغرب، فتذوب الأصالة في المعاصرة، والعلم في الدين بغية خدمة الهدف الأسمى «خدمة الإنسان»[1]

2-5 المثاقفة:

منذ عام 1880م استعمل مصطلح المثاقفة (acculturutior) أو التثاقف للإشارة إلى التداخل الحاصل بين مختلف الحضارات على مستوى التأثير والتأثر والاستيعاب، سواء من وجهة النظر السيكولوجية الاجتماعية، أو الأنثربولوجية الثقافية، وقد تم تعريف المثاقفة من قبل معظم العلماء على أنها: «مجموع الظواهر الناتجة عن الاتصال المباشر والمستمر بين مجموعة من الناس أو ثقافات مختلفة، مع ما يترتب على ذلك من متغيرات في الأنماط الثقافية لهذه المجموعة أو تلك»[2]. وترتبط عملية المثاقفة على القدرة على التعلم واكتساب

[1] ينظر: عماد بلوافي، جدلية الشرق والغرب في رواية عصفور من الشرق لتوفيق الحكيم، مرجع سابق، ص28، ص29.

[2] عبد المجيد جرادات، ثقافة المعرفة والتفكير الاستراتيجي، مرجع سابق، ص50، ص51.

المعارف بين الأفراد والجماعات، وكذلك عملية التواصل مع الآخر.«والمثاقفة هي تبادل تأثير الثقافة والفعل الثقافي بين طرفين على الأقل، التمكن من الفنون والعلوم والآداب بالنسبة للفرد والجماعات لايمكن حدوثه إلا من خلال التفاعل مع الأخر، من خلال عملية التواصل التي تكسب الفرد جملة واسعة من المعارف والمهارات التي تجعله أكثر حذاقة وفطنة وأكثر سرعة في فهمه للأشياء وللحوادث المحيطة به»[1].

إذن فالمثاقفة تعد عاملا أساسيا للتطور الاجتماعي، فهي تزود المجتمع بالمعارف والعلوم، والمجتمعات التي توصف بأنها ضعيفة التواصل مع المجتمعات الأخرى فإن احتمالات تطورها أضعف ومعارفها أقل. وعلى هذا الأساس فإن تطور المجتمعات الإنسانية مرتبط بدرجة الانفتاح بين الشعوب والتفاعل مع الآخر.

فالمثاقفة تعبر عن أوجه التبادل الثقافي (الأخذ والعطاء) بين الحضارات، والثقافات المتعددة وهو اتجاه يسعى أن يكون وسطا بين الانفتاح المطلق الذي يؤول إلى الانصهار في ثقافة الأخر، وبين الانغلاق المطلق الذي يؤول إلى الانعزال تماما عن الآخر والعالم بأسره، وبهذا المعنى تعد عملية المثاقفة رافدا مهما تسعى كل أمة من خلاله إلى معرفة الأخر واستثمار ما لديه من معطيات إنسانية وحضارية، وإلى تنمية كيانها الثقافي بشكل خلاق غير مضر بمقومات الهوية وثوابتها[2].

وفي الوقت الراهن يلاحظ عدد من المفكرين العرب، أن عوامل التخلف في المجتمع العربي المعاصر يرجع إلى ضعف عملية المثاقفة مع الآخرين والاكتفاء بالرأي المحلي،

---

[1] ظلال مصطفى، الموسوعة العربية، مقال من الانترنت، http://www.ana-encg.com ، 06/04/2023، 01:11.

[2] ينظر: عبد الله بن محمد المالكي، وهم المثاقفة، مقال من الانترنت، https://shamelea.ws، 06/04/2023، 01:56.

كما أن الغرب بما أوتي من معارف وفلسفات لم يحقق عملية مثاقفة حقيقية مع الشرق، الأمر الذي يفسر قطيعته الثقافية مع العرب والمسلمين.

وبمعنى أخر كما يقول حسن حنفي في كتابه (مقدمة في الاستغراب):« إنّ المثاقفة التي يوهم الغرب بأنها تعني الحوار الثقافي والتبادل الثقافي، هي في الحقيقة تعني القضاء على الثقافات المحلية من أجل انتشار الثقافة الغربية خارج حدوده، فهيمنتها على غيرها، واعتبار الغرب النمط الأوحد لكل التقدم الحضاري، ولا نمط سواه وعلى كل الشعوب تقليده والسير على منواله»[1].

لقد أصبح الغرب من خلال هذه المثاقفة الإطار المرجعي الأول والأخير لكل إبداع ذاتي عربي، ولهذا كان أغلب النتاج الثقافي في محيطنا العربي في معظم أشكاله وأنواعه الأدبية والفلسفية والسياسية لا يخرج عن هذه الممارسة الغربية للمثاقفة.

وعليه من خلال هذه المثاقفة، فإن كثيرا من المثقفين وصل بهم المطاف إلى حالة لم يعد الواحد منهم قادرا على الإبداع قولا أو فعلا، « فمنذ أكثر من قرنين من الزمان، نترجم ونعرض ونشرح ونفس التراث الغربي دون أن نأخذ منه موقفا صريحا واضحا، ما يزال موقفنا موقف الناقل، عصر الترجمة لدينا لم يتوقف بعد... وكأننا محكوم علينا بالنقل، عاجزون عن الإبداع... وقد أصبحنا وكلاء حضاريين للغرب»[2]، على الرغم من إعجابنا الكبير بالفكر الغربي في الكثير من الأحيان وإقرارنا بتقدمه وتفوقه في مجالات عديدة وبضرورة التعلم والتزود منه، إلا أنه لا يعدوأن يكون مرتبط بسياق تاريخي، وثقافي معين في بعض عناصره، لأنه نشأ في ظل ظروف معينة هي تاريخ الغرب نفسه.

---

[1] حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، الدار الفنية، القاهرة، (دط)، 1991، ص69.

[2] عبد الله ابن محمد المالكي، وهم المثاقفة، مقال من الانترنت، https://shamelaws ، 06/04/2023، 02:53.

وخلاصة القول: أن المثاقفة مع الغرب من جهة والعرب من جهة ثانية باتت ضرورية حتى يعرف كل منهما حقيقة الآخر، ولتبني على أساسها علاقات إنسانية ووجدانية بين الحضارات، فالمثاقفة أسهمت بشكل أو بآخر في عملية التثاقف وتبادل المعارف بين قطبي الشرق والغرب.

2-6 العولمة:

تعد العولمة قناة هامة لم يسبق لها مثيل في تاريخ العلاقات العالمية باعتبارها فضاءا مفتوحا للتلاقي والاتصال بين الشرق والغرب.

والعولمة تحيل في معناها اللغوي العام إلى العالم أو العالمية « عولمة على وزن قولبة، واللفظ مشتق من العالم والعالم جمع لا مفرد له كالجيش والنفر، ومشتق من العلامة على ما قيل، وقيل مشتق من العلم، والعولمة بصفة عامة هي: إعطاء الشيء صفة العالمية من حيث النطاق والتطبيق»[1]

والعولمة مشتقة من العالم أي صرنا عالميين، ومعنى العالمية هي أن تتحد كل شعوب العالم في جميع أمورها على نحو واحد فيكونون كبيت واحد، لا فرق بين شعب غني وفقير، أو أمي و مثقف، وإنّما يكون الانتماء للعالم كله، « العولمة هي حدث كوني له بعده الوجودي، أنها ظاهرة جديدة خلقت واقعا تغير معه العالم كما كان عليه بنظامه وإمكانات وأفاقه المختلفة»[2]

هي إذا مصطلح جديد مترجم عن الكلمة الإنجليزية (global) ومعناها عالمي أو دولي، وعادة ما ترتبط بمصطلح القرية (global villag) بمعنى القرية الكونية، أن الترجمة الصحيحة للاسم الإنجليزي للظاهرة قيد الدراسة هو (globalisation) وهو مشتق من

[1] نعيم إبراهيم الظاهر، إدارة العولمة وأنواعها، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2010، ص8- ص10.

[2] فيصل عباس، العولمة والعنف المعاصر(جدلية الحق والقوة)، دار النهضة اللبنانية، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص 171.

glob بمعنى الكرة الأرضية أو الكوكب الذي نعيش على سطحه، ومقابل العالم وهو(world) والكون وهو (universe) وكلمة العالم تعني البشرية والنسبة إليها توحي بمشاركة الناس جميعا في انتشار الظاهرة محل الدراسة.[1] إن العولمة نتيجة حتمية لتطور الإنساني في الميادين المعرفية كلها ليس لها أثار ايجابية لأنها تعبر عن حقيقة التحول الاستعماري والعميق للإنسانية جمعاء، والعالم اليوم يعيش نوعا من القلق وعدم استقرار وتوتر، وذالك راجع إلى محاولات الدول الغربة وعلى رأسها أمريكا فرض نمط معين للحضارة، يعكس قناعتها، فالعولمة إذن أو الأمركة ماهي إلا تأصيل للعنصرية بدلا من إلغائها.

إن «العولمة نظام شمولي هيمني يهدف إلى السيطرة على العالم، وإلى توحيد أنماط عيشه وتعاملاته وعلاقاته وحضارته. وضع أسسه ومبادئه وأهدافه الكبار الأقوياء ليسير عليه الصغار الضعفاء ولا يحيدون عنه، ومن حاول الحيادة عنه أو معارضته أو تجاهله فإن مصيره وعاقبته واضحة الملامح، وتتمثل في تأديبه والانصياع إليه أو الإلغاء وجوده من الخارطة العالمية المستقبلية»[(2)].

ومن هنا يتبين صورة النظام العولمي المتمثل في مشهدين أولهما: مليء بالبؤس والشقاء والقهر والتخلف، وثانيهما يمس المدلل والمرفه والأكثر سعادة وسيطرة. وبذالك يزداد الغني في السعادة وغنى، ويرتكس الفقير إلى درجات البؤس والتخلف.

---

(1) ينظر إبراهيم محمد خريف وآخرون، العولمة ,أبعادها الاقتصادية، مكتبة العربي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2010، ص25.

(2) أحمد عيساوي، مقاربة وأبحاث في الفكر الإسلامي الحديث والمعاصر، دار الكتاب الحديث، مصر، ط1، 2012، ص413.

فقد شكلت العولمة للأمة العربية والأمن الاقتصادي العربي تهديدات إضافية وداخلية برزت في المظاهر السلبية التي يعاني منها الوطن العربي وتتجسد في التخلف والتبعية والتجزئة وعدم الاستقرار[1].

إن العولمة بتعبير بسيط هي أكذوبة القوي على الضعيف، تسعى إلى توحيد العالم في منظومة فكرية وقيمية واحدة، وإلا إلغاء الخصوصية وإزالة الفوارق بين الحضارات والأمم، وغايتها الأساس هي تكوين ثقافة عالمية واحدة على نمط الثقافة الأمريكية

إن العولمة « قد وجهت سهامها نحو شعوب العالم لتفترسها بثقافتها الصدئ وتهلكها بنموذجها الثقافي الرديء، وللأسف أن كثيرا من هذه السهام المسمومة قد أصابت كثيرا من أبناء امتنا، فأردتهم صرعى التغريب وضحايا العولمة، ففقدوا هويتهم وانتمائهم لدينهم وأمتهم وأصبحوا أذيال تتعلق بفتات الفكر الغربي المتهالك»[2].

إن الضعف الذي تعيشه أمتنا، جعل الكثير من الناس قابلية في قبل كل ماهو غريب، واعتباره المعيار والمقياس لصواب والخطأ، وداء هذه الأمة في كتاب ربها« وننزل من القران ماهو شفاء ورحمة»[3]. ويجب أن تعتز بثقافتها وهويتها فنحن أصحاب دين وحضارة عريقة وتاريخ مشرق وهدف عالمي، ولنا عادات وتقاليد، ولابد من العلم فان العولمة تهدف إلى نضر الفكر العلماني المادي الرأسمالي، والمادة والسيطرة على الأرض هي غايتها.

---

[1] كامل علاوي الفتلاوي، عاطف لافي مرزوق، العولمة ومستقبل الصراع الاقتصادي، دار صفاء، عمان، ط1، 2009، ص223.

(1) نعيم إبراهيم الظاهر، إدارة العولمة وأنواعها، مرجع سابق، ص270.

[3] سورة الإسراء/22-25 .

3- مواقف الشرق اتجاه الغرب في الرواية العربية:

3-1 الرؤية الانبهارية:

من خلال القراءة الأولية لهذا العنوان يتبادر لنا أنَّها رُؤيةٌ متعلِّقة بالإعجاب والاندهاش بالغرب وخصائصهم، وما وصلوا إليه من تفوُّقٍ وتقدُّمٍ في ميادين معيَّنة، وأصعدةٍ متنوعة، كالسِّياسة والاقتصاد والعلوم والمعارف والاستراتيجيات العسكرية والثَّقافية؛ إذ أنَّ هذه الرُّؤية في غالبها ما تكون «فطريةً ساذجة، أو نظرةً واعيةً نسبيًا ما للفوارق الموجودة بين الشَّرق والغرب، بين المكان الأصيل ومكان الغواية والافتتان»[1]. وهذا الانبهار والافتتان مردُّه إلى كون أنَّها نظرةٌ واعيةٌ بالفوارق الموجودة بين الشَّرق والغرب.

نرى إذا أنَّ المشارقة (أصحاب الشَّرق) يرون في الغرب قبلتهم التي يتشرَّبون العلم من حياضها، كذلك يجد المشرقيون في الغرب البيئة والمحيط الذي يتيح للنَّفس الرَّاحة والتأمُّل والتنفيس عنها من أعباء الحياة ومشاكلها، بل هي فضاءٌ يضمن الحرية القولية والفكرية التي يتعطَّش لها المشرقي الذي يرى في أنظم الحكم عنده يتصف نصفها بالقمع والدكتاتورية [2].

وبعد حملة نابليون على مصر، بدأ المشرق يرى في الغرب ذلك الأوجُّ الحضاري، الذي من الممكن أن ينتشله من قاع التخلف والرجعية. هذا التوجُّه نحو الآخر (الغرب) سبب هجرة أدمغة المشارقة في التعرُّف على الآخر عن كثب، ومحاولة البحث في أسرار التقدُّم، بل وحتَّى محاولة الدّراسة في مدارسهم رغبةً في اكتساب المعارف والالتحاق بركب الحضارة الغربية التي تشهد تقدُّما في جميع الميادين.

---

[1] جميل حمداوي، سر جدلية الأنا والآخر في الخطاب الروائي، مقال الانترنت: www.elana.elakhar.re.com يوم: 2015/01/14، على الساعة 12:07

[2] ينظر: سعاد العمراوي، جدلية الشرق والغرب في رواية موسم الهجرة إلى الشمال، مرجع سابق، ص42-43.

من هذه النُّقطة بدأت الرحلات العلمية نحو المدن والأمصار العربية، فأصبح الغرب الشُّغل الشَّاغل للمؤلفين العرب، من أمثال: "أحمد زكي باشا"، و"فارس الشدياق"، و"رفاعة الطهطاوي"؛ هذا الأخير الذي ألّف كتاب **"تخليص الإبريز في تلخيص باريس"** الذي صوَّر فيه رحلته إلى فرنسا، ليكون «هذا العمل الأدبي والإبداعي رحلة روائية تعليمية تثقيفية، تطرح رؤيةً انبهاري قائمةٌ على تمجيد العقلية الفرنسية، مع الإشارة في نفس الوقت بالإحالة والتعريض والتلويح إلى تخلُّف العقلية الشرقية، وانحطاط الواقع العربي والإسلامي على جميع الأصعدة والمستويات»[1]. وعليه فالرُّؤية الانبهارية التي ساقها لنا الطهطاوي لها خطابٌ سطحي واضحٌ بالدَّهشة المفرطة في الغرب (فرنسا)، وخطابا ضمنيا خفيا مفاده أنَّ العالم الشَّرقي يعاني التخلُّف والتقهقر الحضاري.

والواضح أنَّ من تبنّى الرُّؤية الانبهارية أغلبهم ما يتوقف في الموازنة بين الحضارتين بشكلٍ منطقي، بل رفع من كفّة الغرب على حساب الشّرق وحضارته.

وقد عايشنا روايات حديثة ومعاصرة تنقل لنا صورًا وأحداثًا لأشخاص من الشَّرق جاؤوا إلى العالم الغربي (أوروبا) مثلاً، سواءً من أجل السياحة أو العلاج أو الاستقرار، لنجد أنَّ أغلب تلك الروايات تمثل العرب في صورة المرأة الغربية التي تستطيع سرقة لب الشَّرقي، ولا يخفى أن للمرأة رمزية ودلالة واضحةٌ على البعد الثقافي والتاريخي[2].

تشكل الرُّؤية الانبهارية خطرا بالغًا على الهوية المشرقية، إذ من غير سابق إنذار نجد الشَّرقي العربي ينصهر مع مرور الوقت في ثقافة الآخر، وحضارته، لينسلخ عن هويته وعاداته وأفكاره الاعتقادية، ليتولّد في نفسه شعور المغلوب الذي لابدَّ له أن يجد غالبه

---

[1] جميل حمداوي، سر جدلية الأنا والآخر في الخطاب الروائي، مقال في الانترنت: www.elana.elakhar.re.com يوم: 2023/03/28، على الساعة 1:06.

[2] مصطفى كامل، المرأة والرواية العربية، دار هومة للطبع والنشر، بوزربعة، ط2، (د.ت)، ص27.

ويقلّده[1]، لتصبح «الأنا أعلى درجة من الهوان والقصور إلى الحد الذي يتكوّن شعور بالنقص والدونية تجاهه»[2].

تلك الدونية والتبعية العمياء للغرب مردُّها إلى الدّهشة المفرطة و«الرؤية الانبهارية هي في حدّ ذاتها سلاحٌ ذو حدين، فأن تنبهر بثقافة لا تضاهي ثقافتك وحضارةً أخذت من حضارتك هذا أمرٌ معقولٌ وواردٌ، ولكن أن تنبهر بها إلى درجة أنَّتفتت نفسيتك فتغيب هويتك فهنا أنت ضحية»[3].

إذ أنَّ الانبهار المفرط يقزّم من النّفسية ويحقّرها لتصبح بين يدي حضارة قد تطمس لك شخصيتك وهويتك، وتحيلك إلى دمية بلا روح.

3-2 الرُّؤيــة العدوانيــة:

إنَّ الحديث عن الرُّؤية العدوانية بين الطَّرفين -الشَّرق والغرب- هو حديثٌ عن اعتبارية وجود عداوة بين القطبين؛ ذلك أنَّ تلك العلاقة « ليست وليدة العصور الحديثة، وإنَّما موصولة بتاريخٍ قديمٍ من الصِّراعات، حمل الغرب (الحضارة الأوروبية) خلالها صورةً سلبيةً من الشَّرق (الحضارة الإسلامية) أو العرب بصفةٍ خاصة (...) يعود تاريخها إلى الحروب الصّليبية»[4].

تلك الخلفية ولَّدت نوعًا من العدوانية المفرطة مع الآخر؛ هذا الأخير كان ولا يزال يسوم «الشَّرق العربي مختلف أنواع الاضطهاد منذ تفكُّك الخلافة الإسلامية متدرجًا في

---

[1]سعاد عمراوي، جدلية الشرق والغرب في رواية موسم الهجرة إلى الشمال للطيب صالح، مرجع سابق، ص 44.

[2]عبد الإله بالقزيز، العرب والحداثة، مرجع سابق، ص 48.

[3]المرجع نفسه، ص49-50.

[4]نبيلة فراحتية، جدلية الصّراع بين الأنا والآخر (الغرب/الشرق) والتمثيل الكولونيالي للآخر في الخطاب السردي، مجلة لغة/كلام، جامعة لونيس علي، البليدة، الجزائر، 2022، ص 233.

انتهاج أساليبه التوسُّعية»[1]؛ فالغرب بعد سقوط الخلافة الإسلامية بدأ تدنيس المقدَّسات العربية الإسلامية.

فالإنسان الغربي إذا يكنُّ للشَّرقي الكراهية؛ تلك «الكراهية لم تكن وليدة المصادفة أو طفرة نوعية في عالم الكراهية، بل كانت نتيجة ممارسة الآخر الفوقية، ونظرته للعربي التي لا تخرج عن الضعف والدُّونية والهمجية»[2]. وعليه؛ فهو يرى في نفسه الحضارة الكاملة، وهذا الاعتبار الذي يتيح له أن يفرض سيطرته على العالم الشَّرقي بالقوة متسلِّحًا بالنَّزعة العسكرية والتطوُّر التكنولوجي.

إنَّ السَّيطرة التي فرضها بالقوة الإنسان الغربي سببها أنَّه بعد الحروب الصليبية توغّل في صفوف العالم الشَّرقي بشتّى طرقه ووسائله، بحثًا عن نقاط القوة قبل نقاط الضُّعف، ومعرفة دقيق الأمور قبل عوامها، بذريعة الاستشراق العلمي، فكان الهدف الحقيقي مبطنًا إلى أن تمكّنت له حصّة الأسد من ذلك، لينقضَّ بعدها على العالم العربي والإسلامي ويفرض السَّيطرة بلغة القوة والمعرفة.

فالصُّورة الاستعمارية والوجه الآخر الذي ظهر به الغرب هي الصُّورة الحقيقية له، وهي وجهه الواضح الذي عمد إلى أساليبٍ تقوي هذه السَّيطرة وهي متعدِّدة، منها حملات التنصير وبث التفرقة بين صفوف المشارقة[3].

---

[1] باديس فوغالي، جدلية الشرق والغرب في الرواية العربية، كلية الآداب، جامعة قسنطينة، الجزائر، (د. ت)، ص 01.

[2] هيثم الكيلاني، العرب والصهيونية، مجلة عالم الفكر، الكويت، 1999، ط1، ص60.

[3] عماد بلوافي، جدلية الشرق والغرب في رواية عصفور من الشرق لتوفيق الحكيم، مرجع سابق، ص47.

هذه الرُّؤية مردُّها إلى إقصاء الآخر واعتباره مخالفًا للأنا واعتباره ندًا للذَّات ينجرُّ عنه عدائية مفرطة تؤدّي إلى الحقد وفعل المحاربة [1].

وعلى هذا الأساس؛ فمن خلال الحروب الصّليبية وحرب الخليج والاحتلال الغربي للعراق تأكّد لنا أنَّ الغرب لا يرانا دائمًا بالعين الإيجابية، التي تنشد التعايش والسّلم، بل يرانا بعين السُّخط والدونية والكراهية التي تبيح له عدائيتنا في بعض الأحايين، فالعلاقة بين الشرق والغرب تتحوّل أحيانًا إلى عدائية صريحة.

3-3 الرُّؤيــة الحضاريــة:

الرُّؤية الحضارية تتحدّث عن ذلك التصوُّر الذي وضعه الشَّرق لحضارة الغرب، في كونها بلد العدالة والمساواة، «هذا الغرب الذي يعتبر بلد القانون والشَّرعية، فلا تمايز بين النَّاس، ولا فوارق ولا طبقية ولا عنصرية، بلدٌ ينعم فيه الجميع بالراحة والرفاهية والأمان»[2]. من هذا المنطلق كانت الحضارة الغربية براقة لامعة في نظر المشرقي التي تحمل كل صفات الحضارة من عدالة ومساواة وديمقراطية، تُعطي الفرد حقه في الحرية والكرامة.

وعليه فالرؤية الحضارية جاءت بعد الحرب العالمية الأولى والثانية، فالعالم العربي والشرقي يعيش حالة الرُّكود الحضاري، أمَّا العالم الغربي فبعد التسابق على امتلاك الأسلحة والثَّروة الصِّناعية بدأ يظهر بمظهر القوي المتسلِّط، ليكون الغرب «رمز الحديث والعلم والتقدُّم والإشباع الغريزي لكل المكبوتات الظَّاهرة والدّفينة»[3].

نستنتج إذا من خلال هذا أنَّ العربي والمشرقي بصفةٍ عامة أصبح يرى في الغرب ملاذه الذي يبحث عنه، وحلمه الحضاري الذي يريد أن يكون جزءًا منه.

---

[1] المرجع نفسه، ص 47-48.

[2] المرجع السابق، ص44.

[3] سعاد عمراوي، جدلية الشرق والغرب في رواية موسم الهجرة إلى الشمال، المرجع السابق ، ص45.

هذه الرُّؤية التعظيمية للعرب تجاه الغرب لم تكن من الفراغ، بل لها عدّة مؤلفات عربية تحدّثت عن الكم الحضاري والتطوُّري الذي وتعرفه بلاد الغرب، من بينها كتاب "طه حسين":**الأيام**، وكتب "توفيق الحكيم":**عصفور من الشرق**، و"يونس إدريس" وغيرهم من الكُتَّاب، حيث تحدَّثوا في هذه المنجزات إلى تطوُّر الغرب، كما تناولوا هذا التقدُّم العلمي والثَّقافي، كما أنَّهم تفطَّنوا إلى حقيقة القوة التي يفتقرها الشرق، وتحدّثوا عن هذا الانتماء العقائدي والروحاني الذي تتميّز به بلاد الشرق عن نقيضتها «بلاد الغرب» [1].

والرُّؤية الحضارية رؤية أفرط الشرقيون بعد اعترافهم المطلق بتقدُّم الغرب «علميًا وفنيًا وفكريًا، والمقصود بها أنَّ كثيرًا من أدباء الشرق قد انبهروا أيَّما انبهار بالآخر الاجتماعي (...) فقد كانت رؤيتهم للغرب على أنَّه العقل والملجأ والخلاص من القيود والأغلال التي طالت أهواءهم في الشرق»[2].

لنجد أن الرؤية الحضارية رؤية تمجيد وتعظيم للغرب من كل النواحي وهي رؤية مفرطة في تقديم الآخر على الأنا الشرقية، وفيها خطر في تمييع الذات الشرقية وطمسها في الأنا الغربية بشكل يجعل من الشرقي يحمل الفكر والمعتقد والهوية الغربية، لتصل به إلى المحاربة والتصدي لكل من يمس بالعالم الغربي بأي مكروه لفظي وفعلي.

---

[1] المرجع السابق، ص 25-26.

[2] عبد الله بالقزيز، العرب والحداثة، (دراسة في مقالات الحداثيين)، المرجع السابق، ص46.

الفصل الثاني: الصراع ألهوياتي وصوره في رواية الحفيدة الأميركية لإنعام كجه جي

1 – الهوية

1-1 مفهوم الهوية

1-2 تشظي الهوية

2- صراع الذات بين الشرق والغرب

2-1 صراع زينة مع ذاتها

2-2 صراع بتول مع ذاتها

3- الصراع الهوياتي بين الشخصيات

3-1 صراع زينة مع المؤلفة

3-2 صراع زينة مع الجدة رحمة

3-3 صراع زينة مع أخيها مهيمن

4/ صور الشرق والغرب في الرواية

4-1 صورة الغرب(أمريكا)

4-2 صورة الشرق(العراق)

ملحق

1- التعريف بالمؤلفة

2-ملخص الرواية

1- الهوية:

إن قضية الهوية من القضايا و المسائل المطروحة كثيرا في عصرنا هذا، فقط طرحت كثيرا في الأعمال الأدبية والإبداعية من قبل مجموعة من الدارسين والمفكرين وسبب ذلك تهديد العالم الغربي للعالم الشرقي، باعتبار الغرب بلد متحضر ومتقدم ويحتقر الشرق العربي المتخلف، ولكن هذا الأخير حاول أن يواجه الغرب، وذلك من خلال إثبات هويته والتمسك بمكوناتها وخصوصياتها.[1]

1-1 مفهوم الهوية:

جاء في المعجم الفلسفي: « اسم الهوية ليس عربيا في أصله و إنما اضطر أليه بعض المترجمين فاشتق هذا الاسم من حرف الرباط اعني الذي يدل عند العرب على ارتباط المحمول بالموضوع، وهو حرف في قولهم زيد هو حيوان أو إنسان». [2] ومن خلال هذا نفهم إن مصطلح الهوية أعجمي الأصل وتمتد ترجمته ودراسته عند العرب.

ورد أيضا: «الهوية تقال بالترادف على المعنى الذي ينطلق عليه اسم الموجود, من الألفاظ المنقولة لأنها عند الجمهور حرف وهنا اسم، ذلك ألحق بها التطرق المختص بالأسماء وهو الألف واللام واشتق منها المصدر ففي الهوية من الهوا، كما تشتق الإنسانية من الإنسان والرجولية من الرجل، وإنما فعل ذلك بعض المترجمين لأنهم رأوا أنها أقل تغليظا من اسم الوجود إذا كان شكله اسما مشتقا.»[3] أما الشريف الجرجاني يعرفها بأنها« الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق، والهوية

---

[1]-ينظر :ماجدة حمود، إشكالية الأنا والآخر، (نماذج روائية)، عالم المعرفة، الرباط، المغرب، ط2، 2013، ص13.

[2]-جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتابة، بيروت، لبنان (د.ط)، 1982، ص529.

[3]مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة، مصر، (د.ط)، 2007، ص667.

السارية في جميع الموجودات ما أذا أخذت حقيقة الوجود ولا يشرط شيء[1]، يتبين لنا من خلال هذا التعريف أن الهوية تشمل كل العناصر المتعلقة بالأصل.

وهناك من يرى بأن الهوية "فيض متجدد لا يمنعه ثبات نواته عن أمكانية التفاعل مع الواقع المتغير. إن الهوية السردية ليست هوية ثابتة، وذلك لاتساعها شمولا وفيضا بفعل تجارب الذات اليومية وبذلك تظل الهوية مشروعا يطلب دوما التأسيس، وليس هناك نقطة يكتمل عندها إنجاز»[2].

من خلال هذا التعريف نفهم بأن الهوية غير ثابتة إذ هي بنية متطورة ومتحولة ومتغيرة.

كما عرف الفارابي الهوية بأنها: «هوية الشيء وعينيته وتشخصه وخصوصيته ووجوده المتفرد له الذي لا يقع فيه الاشتراك».[3] فالهوية تعد شيئا يخص الفرد والجماعة والإنسانية فمن خلال الهوية يتمكن الفرد من إثبات وجوده وذاته.

يرى محمد عابد الجابري بأن الهوية عبارة عن بنية متواصلة وصيرورة دائمة, فهي تصير إما في اتجاه الانكماش وإما في اتجاه الانتشار, فهي متطورة ومتحولة مع الأوضاع والأحداث حيث تعتني بتجارب الأهل ومعاناتهم وانتصاراتهم وتطلعاتهم وأيضا احتكاكها سلبا وإيجابا مع الهويات الثقافية الأخرى.[4] كما أن هناك من يرى بأن هوية الشخص تعني البصمة التي تميزه عن غيره منذ نعومة أظافره, وينطبق هذا على الجماعة التي ينتمي إليها أيضا, فقد يكون الجنس والعرق واللغة والمعتقد معايير مشتركة فارقة, لذا فالهوية «هي ما

---

[1]الشريف الجرجاني, التعريفات, دار الكتب العربي, بيروت, لبنان, ط1, 1958, ص138، 137.

[2]بول ريكور, الهوية والسرد, تر/ حاتم الورفلي, دار التنوير, بيروت, لبنان, 2009, ص31، 30.

[3]جميل صليبا, المعجم الفلسفي, مرجع سابق, ص530.

[4]ينظر: الظاهر جاووت, السرد وتشكل الهوية (قراءات في رواية البحث عن العظام), مجلة المخبر, أبحاث في اللغة والأدب الجزائري, جامعة بسكرة (الجزائر), ع13, 2017, ص88.

يضمد من الإنسان عبر الزمن, فتلازمه مكونة شخصيته, ومحددة معالمه بشكل ثابت, مما يمنح إبداعه طابعا خاصا, فلا يكون مسخا للآخرين, ولهذا يعد شرطا ملازما للفرد, يؤثر في الجماعة, ويمنحها سمة خاصة لها, ويصل إلى أننا لا نستطيع فصل (الأنا) عن (النحن), لأن الهوية تتحقق شعورا غريزيا بالانتماء إلى الجماعة».[1] وجود الأنا والنحن يحدد مستويات الهوية, فالأولى هي الهوية الذاتية أو الشخصية وهي مستقلة وتخص الفرد, والثانية هي الهوية الاجتماعية متمو ضعة داخل المجتمع, وتجمع هوية أخرى متعددة, والثالثة هي الهوية القومية التي تتموضع داخل الأمة الواحدة, في مقابل الأمم الأخرى. ومن السمات البارزة للهوية التناقض والصراع لأسباب عدة ولدت ما يعرف بتشظي الهوية.[2]

1-2 تشظي الهوية:

جاء في لسان العرب لابن منظور تعريف كلمة التشظي أي «الشظية: الفلقة من العصا ونحوها, والجمع شظايا, وهو من التشظي التشعب والتشقق ومنه الحديث: فانشظت رباعية الرسول صلى الله عليه وسلم؛ أي انكسرت».[3] ومنه فمؤدى مصطلح التشظي هو الانكسار والتبعثر, وبالنسبة لتشظي الهوية يعني انكسارها وتفككها وانشطارها, وهذا التشظي ناتج عن تأثير العوامل الخارجية التي تواجه الشخص.

فقد «لا تكفي القواسم المشتركة بين الفرد وأصوله لتجعله مؤمنا بهويته الأم, فهناك والتهميش, أو البحث عن ملاذ آمن, إضافة إلى الموروث الاستعماري الرامي إلى ردم هوية الكثير من الشعوب, وأيضا لأن العالم أصبح قرية واحدة مسحت حدودها الواقعية، وأفرزت معايير جديدة تحدد معاني الانتماء، لذا أصبح البحث عن الهوية مفخخا» [4]، لنفهم بأن

---

[1] ماجدة حمود, إشكالية الأنا والآخر, مرجع سابق, ص15.

[2] ينظر: أمال قيروان, تشظي الهوية في الرواية النسوية العربية، "الحفيدة الأمريكية" لإنعام كجه جي، أنموذجا، "المدونة"، المجلد8، ع2، جوان2021، ص1475.

[3] –ابن منظور لسان العرب، (مادة شظى)، مرجع سابق، 2268.

[4] أمال قيروان، تشظي الهوية في الرواية النسوية العربية "الحفيدة الأمريكية"، لإنعام كجه جي.

هوية الشخص مرتبطة بعوامل قد تجعله يحافظ على انتمائه ويناضل من أجل هويته أو يرفضها لأسباب عدة منها الاغتراب والاستعمار الذي عمل على طمس هوية الكثير من الشعوب.

« إن تداخل وتناقض الهويات، والصراع القائم بين الذات وذاتها، أو بين الذات والأخر هي سمات ترسم ملامح الهوية، لذا استقطبت اهتمام الباحثين للتنقيب عن مسببات الأزمة، وبالتالي اقتراح الحلول للحفاظ على الجذور وسط كل ما يحيط بمعنى الانتماء من قنابل موقوتة تهدد النسب والأصل، وتدعو إلى القلق والخوف من هاجس الاستنساخ والمسخ»[1]، وهذا ما قام بمعالجته العديد من الروائيين العرب، ومن بينهم الروائية العراقية «إنعام كجه جي» في روايتها «الحفيدة الأميركية». وفي هذا الصدد سنحاول تجلية صور الصراع ألهوياتي بين الشرق العراقي والغرب الأمريكي المتمظهر في الرواية التي بين يدينا.

2- صراع الذات بين الشرق والغرب:

من جمالية رواية الحفيدة الأميركية للكاتبة العراقية إنعام كجه جي تناولها لحالة الصراع النفسي أي صراع الذات بين ما تحمله من أخلاق وبين الواقع المعيش، وبين الخير والشر وبين العراق و أمريكا، وبين الماضي والحاضر، وبين الخير والشر. فالرواية مترعة بالصراع بين الذات وذاتها أو مع الأخر، وقد تجلت صور هذا الصراع الذاتي عند شخصيتين. هما: بطلة الرواية "زينة" وأمها "بتول".

2-1 صراع "زينة" مع ذاتها:

بطلة الرواية هي "زينة" التي ترعرعت على يد جدتها "رحمة" وجدها "يوسف الساعور"، وملأت عليهما فراغا كبيرا وكانت بحق زينة الحياة لهما، فقد رعياها بسبب عمل والدتها بتول.

---

[1] أمال قيروان، المرجع السابق، ص145.

قضت زينة طفولتها الأولى وبداية المراهقة في العراق. وبسبب التعذيب والإذلال الذي تعرض له والدها في العراق اضطرت أسرتها إلى الهجرة لأمريكا، حيث قضت زينة أيام شبابها حتى شارفت على الثلاثين، وهناك تشبعت بقيم أمريكا ومبادئها الديمقراطية المزعومة.

بدأت قصة زينة عند سماعها لخبر قلب كيانها، بشرى صديقتها ساهرة «سبعة و تسعون ألف دولار في السنة. ماكل شارب نايم»[1]. مقابل الترجمة للجيش الأمريكي في العراق، فبما أن زينة تتقن اللغتين العربية والانجليزية، إذ قالت بأن هذا العمل الذي عرض عليها «لا يفوز فيه سوى أصحاب الحظوظ السعيدة من الأمريكان الذين يتكلمون العربية، مثلي ومثل ساهرة»[2]، فهذا فتح شهية التخيل عند زينة التي وجدت كل الحلول لمشاكل كل أسرتها، هذا المبلغ وما يضاف إليه «خمسة وثلاثون في المائة من مخصصات الخطورة، ونسبة مماثلة لأتعاب المهنة ومصاعبها»[3]، يكفي لترحل زينة وأسرتها من حيها البائس لتشتري سيارة جديدة وتعيش في أرقى الأحياء، كما تقول زينة يكفي «لإرسال أخي يزن الذي صار اسمه جايزن إلى مصلحة لعلاج الإدمان وإدخاله بعد ذلك إلى الجامعة (...)، وأغسل صدر أمي من سخام كل السجائر الرخيصة التي دخنتها بإفراط وهي تنتحب (...)، كنت ألمح بلل خديها وأعرف أن النساء لا يبكين من الهجران فحسب، بل من شحة ما في اليد، النقود سعادة أخرى وأنا سأجلب السعادة لوالدتي... لن ادع الفرصة تفوت ».[4]

اعتبرت زينة هذا العمل فرصة مثلى للتخلص من الفقر والهموم، وزعمت بأنه مهمة إنسانية وطنية لتثبت انتماءها لوطنها الجديد الذي احتضنها بعد ما لفظها الوطن إلام، فهي تخدم أمريكا الذي سيعمل على، إسقاط نظام صدام وتحرير شعب العراق الذي ذاق المر. تقول: «مساكين أهل العراق لن يصدقوا أعينهم حين ستنفتح على الحرية حتى الشيخ العجوز

---

(1) إنعام كجه جي، الحفيدة الأميركية، دار الجديد، بيروت، لبنان، ط3، 2010، ص16.

(2) المصدر السابق، والصفحة السابقة.

(3) المصدر السابق، ص 16.

(4) المصدر السابق، ص17.

سيعود ولدا صغيرا وهو يرشف حليب الديمقراطية ويتذوق طعم الحياة كما عشتها أنا هنا» [1].

فأصرت زينة أكثر على العمل كمترجمة بسبب تفجير البرجين في نيويورك، وانتقلت أمنيتها من إنقاذ أسرتها من الفقر إلى إنقاذ وطنها الجديد أمريكا تقول: «ماذا في إمكاني أن أقدم لمساعدة بلدي في هذه المحنة ؟...لكن ممكنا أن أبقى لا مبالية قانعة بالعيش مع أمنياتي الصغيرة وسعال أمي وغيبوبة أخي بعد أن رأيت الحريق أمامي ».[2]

حظيت زينة بفرصة عمل كمترجمة في العراق. ورغم ما رأته في شاشة التلفاز من مشاهد فضيعة عن العراق، إلا أنها أصرت على الذهاب إليه متحدية الموت، هناك في العراق دمار فاق ما رأته زينة على شاشات التلفاز، تحولت إلى مجندة تعيش حياة التجنيد الخشنة، لكنها لم تتراجع مدة خمس سنوات تنقلت خلالها من تكريت، والمنطقة الخضراء والموصل ورأت الموت عدة مرات، وعرفت مع الدمار معنى الرعب والإرعاب لكنها لم تتراجع.

حالة الصراع لازمت زينة أثناء مشاركتها في الحرب فقد كانت تمر بحالات من الاضطراب وعدم الاستقرار النفسي مع اختلاف مواقفها وتناقضها، وقد عبرت الراوية عن هذه الحالة من خلال حديث زينة مع نفسها: «ورغم حماستي للحرب اكتشف أنني أتألم ألما من نوع خاص، غريب يصعب تعريفه، هل أنا منافقة أمريكية بوجهين؟ أم عراقية في سبات مؤجل مثل الجواسيس النائمين المزروعين في أرض العدو من سنوات؟...لماذا أعجز عن الجلوس في مقعدي لخمس دقائق؟ أقول للأخرى التي هي أنا. إن هناك أطفالا يفزعون وأبرياء يموتون بلا ذنب في بغداد... »[3]، وتبقى الساردة مستمرة في السؤال.

---

[1] إنعام كجه جي، المصدر السابق، ص18.

[2] المصدر نفسه ، ص20.

[3] المصدر السابق ، ص23.

لقد أحست زينة بأن ما تقدم عليه ليس بحميد ويحمل الشر لها ولبلدها العراق، فهاهي تحدتنا عن شراسة وعنف وقذارة الدور الذي يقوم به جيش الاحتلال: «في الليالي كان علي أن أشارك في الدوريات وفي مداهمة البيوت التي نشك بأنها تؤوي إرهابيين ليالي طويلة مثقلته بالترقب والصراخ والتوسلات والنحيب والنظرات الحادة الأمضى من السكاكين... هناك من يتباهى بأنه يصنع التاريخ، ونحن كنا نضيع مستقبلا جديدا لهذا البلد الذي يحتضن عظام أجدادي وكان يوما حاضني »[1]. مشهد لا يمكن أن يتقبله أي إنسان، فعمل المحتل في وقت الليل، وقت النوم والراحة للمواطنين يعد بحد ذاته إرهابا وتعدي على الوطني العراقي، وبعد أن أضافت الراوية مشاهد الصراخ والتوسلات جعلت فعل المحتل فعلا سلبيا و غير أنساني، وبهذا تكون الراوية قد أوضحت لنا لماذا تمر بحالة الصراع، فإنسانيتها ترفض هذه الأعمال البشعة ترى في هذه الأعمال البشعة ولا توافق عليها، من هنا كانت حالة الصراع تأخذ أشكالا متعددة، مرة تحاول تقنع نفسها بأن ما تقوم به يخدم بلدها الأم "العراق" ومرة تحاول أن تبرر مشاركتها مع جيش الاحتلال فهي في النهاية تمارس دورها كجندية فيه، لكنها لم تنجح في هذا الأمر، كما أنها لم تتخلى عن دورها مع جيش الاحتلال.

مشهد آخر من الرواية أزعج إنسانية زينة وعراقيتها، صورة المدرس الذي تم اقتحام منزله تقول : «... وفي عيني صورة المدرس الذي يلتصق خده بالأرض، يداري كرامته الجريحة في بيته و أمام امرأته وأطفاله... و فوق هذا يطلب المعذرة منا »[2] المشاعر الإنسانية أيضا تلعب دورا في رفض ما يقوم به المحتل و لكن ما أدرانا إن كان هذا الرفض متعلقا بالعوامل الوطنية والقومية والثقافية لدى زينة ؟

---

[1] المصدر نفسه ، ص98.

[2] المصدر السابق، ص110.

وقد تجلت مظاهر الصراع بين عراقيه زينة وأمريكنيتها بداية من رؤيتها للتهكم والسخرية التي أقدم عليها الجنود الأمريكيون وهم يقلدون بسخرية العراقيين حين يحيون موسم عاشوراء التي قتل فيها الحسين بن علي، فيما أن زينة مسيحية لا تهتم لهذه المراسم والطقوس الدينية ولا تقتنع بها إلا أن هذه السخرية أزعجتها واحتجت عليها قائلة : « لكن ضحكاتهم استفزتني رغم أن الدين لم يكن ديني، لنقل أن وعيي تشكل على أصوات مؤذية. لذلك تصرفت مثل أي متطرف غيور على عقيدة... لم يكن صوتي هو الذي يخرج من بين شفتي لعله صوت أبي المذيع أو صوت طاووس، أو المؤلفة التي تتقمص وتقلد نبرتي». (1)

ردة فعل زينة كانت نتيجة المسألتين، الأولى كشخص محايد ينزعج من سخافة هذا التقليد والمقلد، والثانية المشهد جعلها تشعر بأن الجنود يهينون شعبها ووطنها الأم. فهذه المشاعر الشخصية والوطنية لدى زينة تطورت وتقدمت إلى أن غلب الجانب الوطني والقومي على الجانب الشخصي أو الإنساني، وبداية هذا التخلي كان من خلال "زينة" الإنسانية المنتمية لوطنها الجديد أمريكا، ولكن طريقة تعامل هذا الجيش مع العراقي و الذي حاولت أن تتعامل معه بحيادية دفعتها للانتماء والتقدم من هذا الشعب الذي يتعرض لعمليات قمع وقتل وحشي، ومن ثم تتوغل أكثر نحو الاتجاه الصحيح، نحو العراق الذي تثقفت بثقافته من خلال الأب والأم، و من خلال اللهجة العراقية التي لم تتكلم بغيرها في المنزل، فهذه اللغة جعلتها تشعر بأن من يتعرض للعنف والقتل هو شعبها وليس شعباً آخر، وأن من تتعامل معه وتخدمه هو العدو الذي لا ينتمي لها ولا تنتمي له فهذه المشاعر أحد الدوافع التي جعلت زينة تجتهد أكثر نحوا للقاء مع جدتها، فرغم حبها لجدتها إلا أن الظروف كانت تساعدها للإسراع في إتمام هذا اللقاء وتوطيد علاقتها بها و تقول «... تعبت من المخططات البوليسية للخروج مع المعسكر، من التحايل على التعليمات المشددة للجنود و

(1) المصدر نفسه، ص120.

للمترجمين بالأخص..... لكنني أريد أن أشبع من جدتي رحمة، أمكث معها بدون جنود في الغرفة المجاورة، أسمع تاريخ عائلتي تقطره في وعيي كما تقطر طاووس ماء الورد، تحكي وأنا أصغي وأحفظ، وعندما تتعب من الكلام تتنهد بعمق وتنظر نحوي كمن ينظر لمعجزة. هل كان المطلوب مني أن أقف وأهتف بسقوط أمريكا ؟»[1].

حجم الضغط والصراع النفسي عند زينة وعدم وجود من يفهم مشاعرها ويستمع إليها جعلها تسرع للقاء الجدة، فهي تريد من هذا اللقاء أن تهدئ نفسها، وأن ترتاح مما تمارسه وتشاهده من وحشية يوميا، وفي ذات الوقت ذاته تحب أن تتعرف أكثر على العراق، عراقها الذي عرفته من أمها وأبيها.

لكن حضورها إلى العراق في وقت احتلاله جعل من الجدة تبحث عن الأسباب الحقيقية له و هذا ما جعل زينة تبحث عن مبرر لوجودها في العراق تقول: «أتمتع بلعبة حجب مهمتي في الجيش عن مهمتي وعن جيراني أتظاهر بأنني مغتربة عراقية اشتاقت للوطن والأهل»[2]، هذا الأمر كان يؤكد الحالة النفسية الصعبة التي تمر بها زينة فهي بحاجة إلى أهل أو أصدقاء تستطيع أن تفضي لهم بما تشعر به تفرغ عندهم قسوة الظروف التي تمر بها، من هنا نجدها تسرع أكثر في لقاء هؤلاء الأهل.

كانت زينة تواجه حقيقة لم تكن تعلم بها وهي وجود علاقة استثنائية بين الجدة وجيرانها، رغم اختلاف الدين والعمر بينهم، فهم يعيشون بهذا الشكل. تقول : « أنا غربية حتى عن جدتي، أم أمي، إن حيدر وطاووس ومهيمن أقرب إليها مني لأنهم ظلوا مثلها، عراقيين خلصا، ذهب ليرة، لا تشوب وطنيتهم جنسية أخرى، يندفع الدم إلى شرايينهم حين يذكر اسم العراق، كوكب دري فذ في المجرات، يغنون لبغداد بانحطاط دراويش يدورون حول نفسهم وأصواتهم غائرة من التهجد، كأنهم مأخوذون في نقطة قصية، أرواحهم شاخصة

---

[1] المصدر السابق، ص126

[2] المصدر نفسه، ص127

إليها مدينة السلم، المدورة، الزوراء، موطن ألف ليلة، بغداد قلعة الأسود»[1]، فمن هذا المشهد أدركت زينة المعنى الحقيقي للعراق، وما يعنيه العراق للعراقي، فهو حب رباني سماويا، أرضي، إنساني لا يمكن أن ينتهي أبدا، بل على العكس هو حي وحاضر، و فاعل و مؤثر، يعيد تشكيل من ضعفوا أو أصابهم مرض النسيان فهو العلاج والشفاء للكل، فإذا كانت هناك عواطف تدفع بزينة نحو العراق، فقد كانت هناك أيضا عوامل في الاتجاه الآخر تساعدها في هذا الأمر، طريقة تعامل العراقيين مع المحتل، فهم يقاومون، لا يستسلمون لهذا المحتل بسهولة كوجود خسائر بشرية عند الاحتلال يجعله يتصرف بطريقة أكثر وحشية، أي طريقة مهينة للعراق.

وقد وظفت الراوية في متن الرواية حالة الصراع التي تعاني منها زينة بين دورها كجندية أمريكية من جهة، وبين عراقيتها وحبها لشعبها الذي يتعرض لممارسات همجية من طرف المحتل من جهة ثانية تقول زينة : «يحتقن أنفي عندما أرى على الشاشة جنديا يسقط مفتدياً علم بلاده يجاهد لكي لا يلامس قماشه الأرض (...) من أتى بهذه التي تسحب السجين مثل كلب وراءها (..) من أتى بها إلى جيشنا ؟ (...) تخيلت أن المجندة ليدنسي تربط أبي من رقبته بحزام من أحزمة الطلاب وتجره و هو عار، تصاعد الصديد إلى حلقي وأنفي كيف سأنظر في وجه بابا؟؟»[2].

تحدثنا زينة أيضا عن مشاعرها المضطربة والمتناقضة عندما دخلت العراق مع قوات الاحتلال قائلة : «كنت أريد أن أتباهي أمامهم بأنني منهم، سليلة منطقتهم، أتكلم لغتهم بلهجتهم، وبأن جدي هو عقيد الركن يوسف الساعور الذي كان في أربعينيات القرن الماضي مساعد لمدير التجنيد في الموصل (....) مثل الممثلين البارعين في التقليد، القدرة على التقمص وتغيير الشخصيات وعلى أي أكون عدوتهم ابنتهم في آن واحد، وأن يكونوا هم في

---

[1] المصدر السابق، ص131

[2] المصدر نفسه، ص154

الوقت عينه، أهلي و خصومي» [1]. هذا المقطع السردي وضح حالة التضاد بين عراقية زينة وأمريكيتها فهي تنتمي إلى العراق وأهلها فيه هنا، ولكنها في نفس الوقت جاءت كمحتل، يسهم في تدميره وتشريد شعبه، وهذا يدل على عدم القناعة التامة لزينة بالمشاركة مع المحتل الذي سيدمر بلدها الأم.

ففي بادئ الأمر كانت زينة تحاول أن تقتنع نفسها بأن ما تقوم به لصالح العراق، قد تحدثنا عن تخيلها و أحلامها عن الجيش الأمريكي فظنت أنها جاءت معه لتسهم في تعمير العراق وبنائه، تقول : « إنني ذاهبة في مهمة وطنية، جندية أتقدم لمساعدة حكومتي وشعبي وجيشي، جيشنا الأمريكي الذي سيعمل على إسقاط صدام و تحرير شعب ذاق المر (...) »[2]. كانت ترى بأن هذه المشاركة تخدم أمريكا والعراق معا، وتعد عملا نبيلا وإنسانيا وطنيا لا ضرر منه، فهي سيعيد للشعب العراقي الحرية والديمقراطية التي افتقدها على مدار حكم صدام، لكن بعد ما شاهدت زينة قصف بغداد و الخراب الذي لحق بها، تأكدت بأنها تقدم على أمر في غاية السوء، فعل يتناقض مع إنسانيتها وعراقيتها وأمريكيتها، هي تعمل الشر وتقتل شعبها و تدمر وطنها الأم تقول : « لماذا أشعر بالإشفاق على الضحايا، وكأنني تأثرت بالأم تريزا، كنت انكمش وأنا أشاهد بغداد تقصف وترتفع فيها أعمدة الدخان بعد الغارات الأمريكية، كأني أرى نفسي وأنا أحرق شعري بولاعة سجائر أمي أو أخرق جلدي بمقص أظافر، أو أصفع خدي الأيسر بيدي اليمين»[3]. سلطت الراوية الضوء على مشاهد القتل والدمار، فقد أثرت هذه المشاهد على زينة العراقية التي يتكلم أهلها في البيت باللهجة العراقية ويحملون الثقافة العراقية رغم مجرتهم لأمريكا، فكيف لها أن تبقى ساكنة بدون حراك اتجاه ما تشاهده من قتل شعبها و تدمير وطنها.

---

[1] المصدر السابق، ص19

[2] المصدر نفسه، ص19

[3] المصدر السابق، ص23.

لكن زينة هنا كانت جندية أمريكية وليست عراقية، فالراوية تبقي هذا الصراع الداخلي لزينة مستديما و بلا نهاية، فعراقية زينة كانت مستيقظة وحاضرة في هذا الموقف حينما شمت رائحة العراق :« في تلك اللحظة مع رائحة الطور النافذة، شممت العراق وكأن البلد كله تجمع ف أنفي (...) وميزت عبقه الذي أعرف ولفح هوائه الساخن على الوجوه، وكانت نادية المصرية ترتعش و تسعل وكأنها ستموت مددت يدي أضرب على ظهرها وكأني مسؤولة عما يصيبها، هذا بلدي وهي ضيفتي، راحتها واجبي »[1].

فها هي زينة تتحدث عن عراقيتها، وتعامل زميلاتها المجندات مع المحتل بحرص المضيف على إكرام و راحة المضيف، فهي هنا عراقية خالصة تخلت ولو مؤقتا عن أمريكتها.

عراقية زينة كانت تتغلب عليها طوال الرحلة العملية التي قدمت إليها كجندية أمريكية و لكن الظاهر كأنها مواطنة عراقية أتت لتخدم وطنها ولكي تعيد ذكرياتها الجميلة فيه تقول:« تماسكت في مواجهة جيش الحنين... كانت صورة طفولتي تتسلل على وجهي مثل زخة مطر حار يكوي ولا ينعش. أتفرج ببلاهة السياح على الأعرابيات حاملات السلال فوق الرؤوس وهن يتوقفن للفرجة على موكبنا، ممسكات بأطراف عباءاتهن أمام وجوههن وجوه تصعب قراءتها، بخلاف وجوه الأطفال الذين كانوا يلوحون لنا بأذرع سمراء نحيلة أحرقتها الشمس »[2].

بهذا يتم تقدم "زينة" من عراقيتها وانسحابها فكريا و عقائديا من أمريكا فهي في الأصل عراقية وهذا ما حدثت به أخيها مهيمن قائلة: «... أنا عراقية الأصل والمولد، ولا يمكن أن يكرهوني أهل البلد الذين يشبهونني في سمرتي، و أشبههم في الملامح واللغة والدم الفور»[3]،

---

[1] المصدر نفسه، ص40 ص41.

[2] المصدر السابق، ص48.ص49.

[3] المصدر نفسه، ص 189.

التقدم نحو العراق أصبح أكثر وضوحا عند زينة، فعلى الرغم من استمرار عملها مع المحتل تجدها تتقدم أكثر من وطنها و أبناءه.

تعود زينة إلى أمريكا لتقضي إجازتها من الحرب في العراق، لكن هذه العودة كانت قد جعلت الصراع والتناقض في ذات زينة أكثر وضوحًا، فقد اختير لزينة أن تعيش بهوية مزدوجة، فنجد طاووس جارة وصديقة الجدة تخاطبها بهذا الشكل : «" كلب أبو بيتين"هكذا وصفت طاووس حالتي بعد عودتي من ديترويت لا أنا قادرة على استرجاع حياتي السابقة ولا على التآلف مع حياتي في الخضراء»[1]. العراقية أخذت مفعولها في نفس زينة بحيث أصبح نفسيا تتصارع مع الأمريكية، فهنا بعد أن تراكمت عليها تلك الأعمال والمشاهد والأفكار فيما ذاكرتها جعلتها ترفض الأمريكية و تحاربها من هنا قالت عن أنها : «عدت إلى بغداد بعد بضعة أشهر من الضياع النفسي في ديترويت»[2]، فضمير زينة وعراقيتها الحية لم ينسجما مع أعمال الاحتلال.

فبعد الصراعات الداخلية والتناقضات التي عاشتها زينة وبعد فقدانها لجدتها استعادت توازنها وقررت التوقف عن العمل كمترجمة وبهذا اعترفت بإنسانيتها و عراقيتها و راحت ترد في آخر سطر من الرواية : « شلت يميني إذا نسيتك يا بغداد »[3].

2-2 صراع "بتول" مع ذاتها:

التمظهر الثاني لصراع الذات مع ذاتها في الرواية يتجلى في شخصية ثانية هي الأم" بتول" التي : يشير اسمها إلى معاني الطهارة والعفة والتقديس، كانت بتول أستاذة جامعية بالعراق أي قبل هجرتها مع زوجها المذيع "صباح" "بهنام" إلى أمريكا، فقد وقفت إلى جانبه أثناء سجنه و تعذيبه وتخلت على وظيفتها وسيارتها ووطنها لأجل حماية زوجها، لكننا

(1) المصدر السابق، ص 162.

(2) المصدر نفسه، ص 163.

(3) المصدر نفسه، ص195.

نتفاجأ بانفصال زوجها عنها في بلاد المهجر لم تذكر الراوية أسباب الانفصال الزواج نتج عن حب وتحد، يظهر ذلك فيما سؤال الجدة لزينة عن والديها :« وين راح الحب الذي تحدت به أمك الدنيا لم أدري ما الحب ولم أكن رغم اقترابي من الثلاثين قد جربت الحب الذي يجعل صاحبه يخالف دنياه كى يعيشها»[1]

حدثتنا زينة عن بداية حياتهم في المهجر حيث أصيبه أبوها بأزمة قلبية فاضطرت والدتها بتول العمل كخياطة ثم مساعدة طباخ ثم نقلوها إلى الاستقبال، مرارة الأستاذة الجامعية التي عاشتها في بلاد المهجر لم يخففها إلا رؤيتها لرئيس قسم الفلسفة السابق في جامعة بغداد فألان وفي بلاد المهجر أصبح يعمل مسؤولا على أرفف الخضار فقد شرح لها الدكتور يعقوب«... بفخر شديد كيف ينقذ رؤوس الخس من التلف السريع، يشذب وريقاتها الخارجية، ويغمس خناجرها في بالماء البارد. وبفضل تلك المهمة استحق تقدير المراقب، ونصف دولار زيادة في الساعة»[2] هذا الواقع المر لحال كثير من المهاجرين مثل بتول ورئيس قسم الفلسفة السابق لجامعة بغداد، هو واقع مبكٍ يعكس مدى الألم والإذلال الذي تعرض له المهاجرون وخاصة المثقفين منهم في كلا البلدين.

بتول اضطرت للهجرة مع زوجها لأمريكا رغما عنها من أجل زوجها فقط، فهي تمثل صدق حب الوطن الأم في يوم التجنيس الذي أسعد الكثير من المهاجرين فاعتبروه عيدا وتزينوا له إلا بتول التي مشت مع المهرولين في التشييع بالوطن، وحينها كانت كل الأفواه تلهج بالنشيد الأمريكي إلا صوتها الوحيد الذي كان ينطق ويولول بالعربية : « سامحني يا أبي (...) يابا سامحني» [3].

---

[1] المصدر نفسه، ص 75.

[2] المرجع السابق، ص 157

[3] المرجع نفسه، ص29

معاناة بتول بهجر الوطن والزوج جعلها مدمنة سجائر، وأدى ذالك إلى مرضها بسعال مزمن. فهي لم تلقى مقابلاً لتضحيتها إلا غربة وهجراً وابن مدمن على المخدرات وعملا وضيعا، وعلى الرغم من ذالك لم تخن الوطن، ولم تتخلى عن أسرتها وبقيت رمز الأم المضحية.

3- الصراع ألهوياتي بين الشخصيات:

3-1 صراع زينة مع المؤلفة:

وهي شخصية تذكرها الرواية تظهر بهذا الاسم (المؤلفة) وليس لها علاقة بالأحداث، ويمكن أن تشير هذه الشخصية إلى الراوية وهي تعيش في صراع جعلها تكتب هذه الرواية.

بين بداية الرواية ونهايتها كانت زينة تدافع عن أفكارها بكل جرأة كذا ظهر صراع خارج، فكان أول صراع اتضحت معالمه في الرواية هو صراع تقاطع فيه صوت المؤلفة مع صوت بطلة الرواية بضمير الأنا حمل معه رؤيتين مناقضتين للعالم والمعالم الانتماء والعروبة والوطنية.

تحاول البطلة أن تحارب صوت الضمير المتمثل في المؤلف تحاول أن تتخلص منها «أزعجتني المؤلفة منذ رأيتها تدور وتناور وتفتعل المواقف لكي تكتب رواية وطنية على حسابي تريد هذه الكاتبة الغربية أن تغتالني لكي تنال إعجاب النقاد الحمقى و سياسي التلفزيونات و وطني زمن..... أن تجعل مني الشخصية الشريرة الملعونة ومن جدتي بطلة شجاعة وطيبة، تراني المؤلفة ربية الاحتلال، وترى جدتي من نقاش المقاومة»[1]

وبعد أن سخرت زينة من الشعارات التي تؤمن بها المؤلفة قررت أن تغير قناعات الجدة لتقف إلى جانبها ضد المؤلفة « بل إنني سأحرض جدتي رحمة عليها أيضا، إن

[1] المصدر السابق، ص34. 35

جدتي رحمة إمرة تتمتع بالحكمة ولا تقع في الفخاخ السهلة.... وبالتأكيد هي لن ترضي أن تضع وطنيتها في عهدة كاتبة مسختها أزمنة الإنقابات الثورية والأحزاب القومية وجعلت منها بوق من ورق »[1]

من خلال ما سبق يتضح لنا أن زينة كانت ترفض الشعارات والمظاهرات الصاخبة من جهة، وترفض أن تتخلى عن تاريخها و عن ارثها.

3-2 صراع زينة مع الجدة رحمة:

أما الصراع الثاني الذي يمثل زينة و شخصية الجدة، و هذه الجدة التي لم تكن جدة زينة الحقيقية فحسب بل كانت هي الماضي بمختلف عقائده وأخلاقه، حيث إنها فجعت لما حلمت أن زينة تعمل مع جيش الاحتلال. الوظيفة التي جلبت العار لأسرتها الثورية، فقررت الجدة أن تعيد زينة إلى وطنيتها لكن زينة تكشف هذه الخطة قائلة : « تمسح جدتي بيد راعشة على شعري وكأنها ترجوا أن تعيدني تلك الحكايات العائلية إلى صفها، هذه عجوز لا تتراجع ويبدو أنها تسعى لطبخي على مهل تعرف من خزان حكاياتها وتروي لي ما يسقي شجرة جذوري ويحرك أغصان انتمائي» [2].نستنتج أن الجدة كانت تحاول إعادة زينة إلى وطنها من خلال تذكيرها بالماضي، لكن هذه المحاولات باءت بالفشل لأن الجدة توفيت حسرة، وكان لموتها أثر على حياة زينة ودرسا حقيقيا لها ذاقت معنى فقدان الأم و الوطن.

3-3 صراع الذات مع مهيمن:

الشخصية الثالثة التي كانت صراعها بارزا و واضحا مع زينة هي شخصية "مهيمن" أخوها من الرضاعة الذي كان يكره أمريكا.

---

[1] المصدر نفسه، ص36

[2] المصدر السابق، ص 53

ففي كل لقاء مع أخته "زينة " يعبر عن هذا الكره وتمسكه ببلده الذي يبقى عزيزا عليه مهما حدث كان في كل مرة يضع حججا مقنعة لزينة لكي تغير من نفسها سواء أثناء سفرها الأردن بسبب مرض الجدة، أو عن طريق الايميل فكانت زينة تخاطبه بضمير الجماعة قائلة : "جئنا لنقوم بعمل عظيم، وهم أفسحوا كل شيء... سأبقى مترجمة الاحتلال ولن أكون أختك بالحليب ولا بالدم. الدم الذي حفر خنادق بيننا، جعلني أقول: «نحن وأنتم... حاولت أن أكون الاثنين فلم أفلح»[1] كان مهيمن يرد عليها بشهامة الأخ الأكبر وهو يقول : « لست مسؤولة عن الخراب والأكاذيب، زينة أنت مثلنا، ضحية خدعة أكبر منك» [2]

نلاحظ أن زينة عنيدة ولم تغير من مواقفها رغم حبها لأخيها، فهي مقتنعة لما تفعل، عندما اشتد الصراع في العراق فقد مهيمن الكثير من إخوانه المجاهدين في حرب جائرة.

قرر مصادمة زينة فلم بنعتها بأختي "زينة " كما كان يقول من قبل : "هل أعددتم ما يكفي من طائرات لنقل كل العملاء".

- أرجوك، أنت تؤذيني

لا بأس، قليل من الأذى لا يميت...

يقرأ مهيمن صوت وجعي يقرؤني لا يعرف الرحمة.

لماذا جئتم ؟

خلصناكم من صدام.

يفسح مهيمن فكرة أكثر ابتكارا

---

[1] المصدر السابق، ص 179.

[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

« طردتم كينغ كونغ من المدينة وقبضتم ثمنه العراق كله» [1]

هكذا كان حوار مهيمن مع زينة لأنها كانت عنيدة ومقتنعة بما كانت تفعله. انتهى الحوار بسخرية وبعدها لم تلتق "بمهيمن".

من خلال ما بقى نستنتج أن زينة دافعت عن أفكارها وقناعاتها بكل جرأة، ولكن بعد فقدانها لجدتها استعادت توازنها وقدرت التوقف عن العمل كمترجمة.

4- صور الشرق و الغرب في الرواية:

4-1 صور الغرب (أمريكا):

ا – **الغرب العدواني** تبين لنا رواية الحفيدة الأميركية استعدادات الإدارة الأمريكية لغزو العراق :«قامت الحرب من دوني.... بعد أن حصل الرئيس على موافقة الكونغرس»[2] إذ أنه لم يعط أهمية لهيئة الأمم المتحدة وهذا ما جعل الإدارة الأمريكية تسعى للقيام بالحروب وخلق الأزمات لزرع الرعب في نفوس أعدائها تنقل لنا الرواية بشاعة المشهد القائم في العراق بعد حصول العدوان، فكانت تواصل سرد الأحداث على لسان "زينة" حيث تقول «كنت أنكمش وأنا أشاهد بغداد تقصف وترتفع فيها أعمدة الدخان بعد الغارات الأمريكية »[3]، ثم تواصل سرد الأحداث وتصف حالتها أثناء مشاهدة القصف : «أقول الأخرى التي هي أنا إن هناك أطفالا يفزعون وأبرياء يموتون بلا ذنب في بغداد»[4]. فكان التلفزيون لا يتوقف عن عرض الأخبار، إذ تقول : «والتلفزيون لا يتوقف عن شحننا بالإنفصالات، إن شاشته تضخنا بالأدرينالين وهي تعرض مشاهد دخانية وتنقل أصوات مدافع تدوي وقنابل

---

[1] المصدر السابق ، ص 184.

[2] المصدر نفسه، ص 23.

[3] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[4] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[4] المصدر نفسه، ص 23.

تنفجر ورجال يركضون هاربين من الموت، أو صبية هلعين، صفر الوجوه، لكنهم يشيرون للمصور بعلامات النصر»[4].

تدل هذه الاقتباسات التي قمنا بعرضها على بشاعة العدوان الأمريكي و همجيته، فهو لم يترك شيئا على حاله، فقد هدم ودمر المنشآت والمنازل وقتل الأرواح البشرية لم يسلم منه إنسان و لا حيوان مع استمرار وحشية الاستعمار الأمريكي من تحطيم وقتل و تدمير وصل الأمر إلى تحطيم رموز الدولة ومن بينها قصر صدام، إذ تقول زينة : « رأيت القصر مهجورا، مقصوفا ومحطمًا تتناثر الأحجار في صالاته التي نجتازها مثل أشباح مبرمجة على الدهشة.. إنها القيامة قد مرت من هنا »[1].

إضافة إلى هنا تتضح همجية الاستعمار الأمريكي في مشهد ذهاب الجنود الأمريكان لإلقاء القبض على الشخص المطلوب إذ تقول المترجمة زينة: «حين انتصف الليل انطلقنا إلى بيت ذلك الحقير في ثلاث سيارات بعد أن طوقنا المحل وترجل عشرون جنديا وحطموا البيت... كسر أربعة من الجنود الباب الحديدي للحديقة... وركلوا الباب الخشبي، وصاروا في الداخل، والداخل كانت هناك أسرة نائمة »[2]. وتضيف إلى هذا ما حصل في سجن " أبو غريب " الذي يفتقد لأدنى الظروف الإنسانية و لا يرقى أن يطلق عليه سجن، ويظهر ذلك عندما شاهدت زينة الصور و المشاهد عن سجن " أبو "غريب" وما يتعرض له العراقيون من إذلال وإهانة فذهب بعض الأمريكيين يبررون ذلك : « يقول إن من قاموا بهذه الأعمال هم الجنود الجهلة وأصحاب الرتب الواطئة، سمعت جنديا بصف أولئك الأولاد بالغباء، كيف سمحوا بالتقاط الصور !! أجابه صوت أجش أن هؤلاء المساجين هم من عتاد القتلة، وإلا لما عوملوا بهذا الشكل»[3].

---

(1) المصدر السابق ، ص 46.

(2) المصدر نفسه، ص 105.

(3) المصدر نفسه ، ص 154

استنكرت زينة الوضع المأساوي وتذكرت حادثة تعذيب والدها، وأدركت عنصرية الأمريكان ومعاملتهم الوحشية والغير اللائقة للأسرى العراقيين.

ب- صور الغرب الإنساني و المتحضر:

لم تقتصر صورة أمريكان على الجانب العدواني، فقط بل تجاوزته إلى ذكر صورة إنسانية و ايجابية تتمثل فيما يأتي:

عالجت لنا رواية الحفيدة الأميركية حضور أمريكا دولة وشعبا وثقافة بطريقة إبداعية ويظهر هذا من خلال قول زينة : «كنت أقول، مثلما تقول "فوكس نيوز" أنا ذاهبة في مهمة وطنية جندية، أتقدم لمساعدة حكومتي وشعبي و جيشي، جيشنا الأمريكي الذي يعمل على إسقاط صدام وتحرير شعب ذاق المر هذا من خلال ذلك لرأي الشخصية المتحدثة إلانته المر» [1]

أمريكا دولة متحضرة تساعد المستضعفين في جميع أنحاء العالم تنشر الديمقراطية، وتعزز من الحريات حلمها وأهدافها وتحقيق التعايش السلمي، حتى أن «مساكين أهل العراق لن يصدقوا أعينهم حين ستتفتح على الحرية حتى الشيخ العجوز منهم سيعود ولدا صغيرا وهو يرشق حليب الديمقراطية، ويتذوق طعم الحياة كما عشتها أنا هنا»[2].

أمريكا بلد رحب، بلد التعايش بلد التضايف، بلد صديق مأوى من لا مأوى له، بلد فتح الآفاق لزينة ذلك ليتحقق في العراق البلد المعروف بالتضييق، ويظهر هذا في مجموعة من الحقائق التي عاشتها زينه داخل المجتمع الأمريكي حيث كانت تعيش أوقاتها سعيدة رفقة صديقاتها.

(1) المصدر السابق، ص 18

[2] المصدر نفسه ، الصفحة نفسها

هذا المجتمع الأمريكي منحهم حياة جديدة : « في ديترويت كانت لي عصابتي، ولو أراد مخرج أنا يصور عنا فيلما لاقترحت عليه عنوان "عصابة زينة، هكذا كانت والدتي تسمي مجموعة الأصدقاء والصديقات اللبنانيين والعراقيين والفلسطينيين والسوريين الذين أثروا معهم. وكانت بيننا مصرية وحيدة »[1].

نستنتج من خلال الراوية أن أمريكا بلد يتسع لكل العرب باختلاف أصولهم وجنسياتهم، إنه بلد التعايش.

كان الحماس يصاحب زينه منذ الوهلة الأولى لخوض تجربة جديدة وتقديم المساعدات لأهلها وتخليصهم من الظلم، وهي احتضانها فرصة التجنيد في صفوف الجيش الأمريكي. تقول : «أعلنت آلاف بي أي " عن حاجتها إلى مترجمين عرب و عنوان موقع على الانترنت لتقديم الطلبات، قرأت الإعلان وشعرت بمزيج من الهشاشة والحماسة، ماذا في إمكاني أن أقدم لمساعدة بلدي في هذه المحنة ؟

بأي وسيلة تخدم مهاجرة مثلي لا حول لها ولا قوة، دولة أميركا العظمى».[2] في مشهد يعبر عن قصة الإنسانية التي تتجلى بها زينة الأمريكية.

تحمس زينة سرعان ما استخدم بالواقع المر فيما بعد حين أدركت أن أمريكا تستعمل كل الطرق لتنفيذ سياستها التوسعية في العالم، ولو تطلب ذلك للإغراءات المادية المعتبرة.

كانت زينة تربطها علاقة مع شخص يسمى "كالفن" وحدث هذا عند مكوثها بأمريكا، جعلت منه صديقا لها، فكان الجسر الرابط بين العراق وأمريكا: «...وباستثناء كالفن كان معظم الذين اختلط بهم من العرب أنت يا عزيز ممثل الجالية الأمريكية بيننا،

---

[1] المصدر السابق ، ص 22

[2] المصدر نفسه ، ص 20

وكانت تعجبه تلك المداعبة، مثلما يعجبه أي شي، أقول ماي كالفن، كالفني السكير الوديع العاطل عن العمل معظم أشهر السنة» [1].

من خلال ما تقوله زينة لكالفن هو أنها تعتبره ممثل الجالية الأمريكية بين العرب وإعجابها به، يمثل اندماج زينة في المجتمع الأمريكي، وتفتحها لإقامة علاقات رغم اختلاف الثقافة والمعتقد.

4- 2 صور الشرق (العراق):

لقد رصدت لنا إنعام كجه جي في روايتها بعض الصور التي كونها الغرب الأمريكي عن الشرق العراقي، وهذه الصور والمواقف كانت قد أخذت في ظل الحروب السابقة والناشئة بين العراق وأمريكا والتي تجسدت في الروية التي بين يدين، ومن خلال هذا الاحتكاك القائم بين الشرق والغرب تبينت لنا بعض الرؤى والصور التي اتخذت على الشرق من بينها:

أ- الشرق المتخلف ذو المعتقد الخاطئ:

حمل العربي مشاعر الحقد والضغينة والاحتقار للإنسان الشرقي، فهو لا يتحمل أن يتفوق عليه، أو أن يكون أعلى منه مستوى ومرتبة، ذالك لأنه يعتبر نفسه السيد والمهيمن والمتحضر، ولولا وجوده لما استطاع الشرقي العربي أن يكتسب العلم والمعرفة وقوت عيشه، ذالك باعتباره شعب متخلفا يؤمن بالخرافات والمعتقدات والأحلام.

وقد تجلت هذه الرؤية الدونية عن الشرقي في الرواية من خلال التهكم والسخرية التي أقدم عليها الجنود الأمريكيون وهم يقلدون العراقيين حين كانوا يحيون موسم عاشوراء الذي قتل فيه الحسين ابن علي، ونشهد هذا في مقطع تتحدث فيه زينة عن هذه السخرية: «رأيت "شون" و"هاملتون" و"بيل" يتسلون بأداء فصل تمثيلي وسط حشد من المجندين والمجندات الذي يقهقهون بأصوات صاخبة (...)، كان الأول يحمل مضرب بيسبول ويوجه عموديا

[1] المصدر السابق، ص 21

نحو جبهته. والأخر يولول وهو يرفع يده اليمنى ويهوي بها على صدره في إيقاع منتظم.أما ثالثهم فكان يقفز في مكانه وهو يكرر: هيدر...هيدر(...) ضحكاتهم استفزتني (...) لذالك تصرفت مثل أي متطرف غيور على العقيدة»[1] ، فذالك الحين كانوا قد شاهدوا مراسم عاشوراء وهاهم يقلدون ما رأوه، وتعتبر هذه السخرية وإهانة للشعب العراقي ومعتقداته.

نجد الحفيدة الأمريكية زينة أيضا في مشهد أخر لها وهي تخالف فكرة بأنا "مهيمن" الفتى الذي أحبته قد يكون أخاها من الرضاعة، فقد صرحت بأنها لا تؤمن بمعتقد الإخوة من الرضاعة، تقول: « لكن هذا العراقي النحيل لا يمد لي راحة كفه بحبات اللؤلؤ الأحمر يعاند ولا يريد خرق معتقداته التي لا تعني لي شيء، كيف يكون هذا التمثال السومري المبهم الملامح أخا لي بمجرد أن طاووس أخذتني إلى صدرها وأنا بنت شهرين (...)، يفتح مهيمن عينه فزعا عندما يسمعني أقول أنني لا أؤمن بالحليب الذي يؤاخي الغرباء، ولا بعقود الزواج الأبيض ولا بالاستحرامات التي تحفد الصبوات»[2].

وبهذا ونستنتج بان زينة تنظر إلى مهيمن الذي يمثل الشرقي المحافظ نظرة تخلف، حيث تزعم بأنه يؤمن بمعتقدات ليس لها معنى بالنسبة لها، وترى بأن معتقد الإخوة من الرضاعة لا أساس له من الصحة.

ب- الشرق المحب والمخلص لوطنه:

ويظهر هذا الوجه المشرق للشرق والمتجسد في حب الوطن ومعنى الانتماء إليه والإخلاص له عند شخصيات الرئيسية في الرواية. نذكر منها شخصية الجدة "رحمة" و"مهيمن"، "طاووس" و"بتول"، هؤلاء قد مثلوا حبهم بصدق لوطنهم العراق واعتزازهم بالانتماء إليه، وتصف زينة ذالك معبرة عن شعورها بالاقتراب بينهم: «أنا غريبة حتى جدتي، أم أمي.إن حيدر ومهمين وطاووس أقرب إليها مني لأنه ظنوا مثلها، عراقيين خلصا.ذهب

[1] إنعام كجه جي، الحفيدة الأميركية، المصدر السابق، ص 119، ص120.

[2] المصدر السابق، ص 133، ص134.

ليرة، لا تشوب وطنيتهم جنسية أخرى.ينبعث الدم إلى شراييهم حيث يذكر اسم العراق.كوكب دري فذ في المجرات، يغنون لبغداد بانحطاط دراويش يدورون حول نفسهم وأصواتهم غائرة من التهجد.أرواحهم شاخصة إليها. مدينة السلام، المدورة...الخ »[1] .

صورت الراوية أيضا شخصية الجدة رحمة وهي تمثل حبها الثابت لوطنها العراق والانتماء إليه، حيث نجدها تحتفظ بالبذلة العسكرية الخاصة بزوجها المجاهد "يوسف ساعور" الذي عمل جنديا عراقيا ضد الاحتلال الأمريكي، لتحيي بها ذكرى يوم عيد الجيش المتمثل ستة كانون الثاني، وتعيد ما كان زوجها يفعله عام بعد عام في مثل هذا اليوم من السنة، وهاهي زينة تحدثنا ما تقوم به الجدة في هذه الذكرى الوطنية نيابة عن زوجها المتوفى: « سحبت إليها سترة خاكية ذات نجوم ذهبية على الكتفين وبدأت تلمع أزرارها النحاسية.وبين دقيقة وأخرى تمد يدها في خرقة قطنية إلى طاووس فتتلقفها منها وتضعها على فوهة علبة البراصو ثم تقلب العلبة قلبة سريعة ليتبلل القماش بسائل الثقيل، (...) تلتقط جدتي الخرقة من يد طاووس وتفرك النجوم بكثير من التأني والحنان.وعندما تنتهي من تلميعها تتحامل على نفسها وتقول إلى الدولاب. كانت تتدلى من ظلفته العليا علاقة خشبية (...) وبكثير من الاحتراس تلبس العجوز السترة على حدبة العلاقة وتزرها وتأتي بالبزة العسكرية كاملة وتمددها على الكنبة»[2].

هكذا كان يفعل زوجها قبل وفاته وبعد خروجه من الجيش يحي هذه الذكرى الوطنية.

ونرى فزع الجدة عندما علمت بان حفيدتها زينة تعمل مع جيش الاحتلال، فهي وضيفة جلبت العار لأسرتها الثورية المقاومة لكن الجدة وما تحمله من قوة شخصية وعناد لم تستسلم لهذا الواقع، فقررت أن تعيد تربية زينة وطنيا، وتبدأ في انجاز مهمتها عن طريق التنقيب في ذاكرتها عن مواقف تصلها بجذورها وتصف زينة هذا قائلتا: «تمسح جدتي بيد راعشة على شعري وكأنها ترجو أن تعيدني تلك الحكايات العائلية إلا صفها، هذه العجوز لا تتراجع

---

[1] المصدر السابق، ص 131

[2] المصدر السابق، ص 89

يبدو أنها تسعى لطبخي على مهل، تغرف من خزان حكايتها وتروي لي ما يسقي شجرة جذوري ويحرك أغصان انتمائي»[1].

ولكن محاولات الجدة باءت بالفشل للتتأثر وتموت حسرة، فهي لم تتحمل رؤية حفيدتها وهي تعمل مع الاحتلال ضد وطنها الأم.

وقد كان مهيمن مثال لرجل العراقي المعتز بوطنه، فهو يعبر في كل لقاء مع الجندية زينة عن كرهه لأمريكا وتمسكه ببلده العراق الذي وان جار عليه يبقى عزيزا وحاول بكل ما أوتي من حجج مقنعة أن يغير قناعات زينة، فعندما اشتد الصراع في العراق فد مهيمن العديد من إخوانه المجاهدين في الحرب، فاشتد غضبه أكثر على زينة سألها قائلا: «هل أعددتم ما يكفي من طائرات لنقل كل العملاء؟

- أرجوك، أنت تؤذيني...

لا بأس، قليل من الأذى لا يميت(...)، لماذا جئتم ؟

خلصناكم من صدام...

يقترح مهيمن فكرة أكثر ابتكارا « طردتم كينغ كونغ من المدينة وقبضتم ثمنه العراق كله...» [2].

وانتهى الحوار بسخرية، ومن ثم لم يلتقي مهيمن بأخته زينة.

ونخلص مما سبق بأن الشخصيات التي عبرت عن حبها للعراق وبالانتماء إليه قد تشير إلى أن الرواية تميل في العمق إلى ترسيخ وتأكيد الهوية الثقافية والحضارية للعراق.

---

[1] المصدر نفسه، ص 53

[2] المصدر السابق، ص 184

الخاتمة

الخاتمة:

وهكذا تبلغ دراستنا نهايتها، وما يسعنا إلا أن نقدم جملة من النتائج التي توصلنا إليها من خلال بحثنا هذا والموسوم بـ جدلية الشرق والغرب في رواية الحفيدة الأميركية لإنعام كجه جي، والمتمثلة في الاتي :

1- إن الغرب كان عنوانا للسيطرة والهيمنة والاستعلاء، ونزاعات التفوق والمركزية الذاتية، التي ترى في الأنا الهامش الذي لابد وأن ينجذب إلى الآخر، وأن يكون محكوما عليه بالتبعية والطاعة المفروضة.

2- الشرق والغرب هما وجهان لعملة واحدة وهو الصراع.

3- ظروف تلاقي الشرق والغرب كانت لقاءا صداميا عنيفا في معظم الأوقات، و لقاءا ثقافيا مسالما في بعض الأحيان.

4- الظاهرة الاستعمارية مباشرة كانت أم غير مباشرة، كشفت نية الغرب وشراسته في الشرق.

5- تنوعت الصور والرؤى التي شكلها الشرق عن الغرب، وتراوحت بين الرؤية الحضارية والانبهارية، إلى الرؤية العدوانية، والتي تشكلت من خلال همجية الأمريكي عن العراقي.

6- إن البطل العربي يكون دائما مسافرا إلى الغرب بحثا عن التحرر وعن علم ينتفع به، ذلك أنه في بلده يعاني الكبت والحرمان.

7- تعرضت رواية الحفيدة الأميركية لعدة قضايا مثل: العولمة، الهجرة، الاستعمار، والتكيف مع ثقافة جديدة، وتأثير الثقافة على الأفراد و مجتمعاتهم، مما جعل الرواية مترعة بالصراع الهوياتي بين الشرق والغرب.

8- عبرت إنعام كجه جي في روايتها عن الواقع المأساوي الذي يعانيه المهاجرون في بلاد المهجر، مثل الفقر وازدواجية الهوية، وهذا ما جعل بطلة الرواية تعيش في صراع

نفسي دائم بين عراقيتها وأمريكيتها، وصراع مع عائلتها التي تمثل حبها للوطن الأم(العراق) وتعتز به.

9- جدلية الشرق والغرب كانت طاغية على متن الرواية، وذلك من خلال الشخصيات الرئيسية التي منها من مثل الشرق بروحانية وإنسانية واجتماعية، ومنها من مثل الغرب بمختلف تناقضاته من مادية وعنصرية وإنسانية.

10- لقد كون الغرب في الرواية صورا مغلوطة عن الشرق تراوحت بين التخلف و العدائية.

11- على الرغم من كل الصعوبات والظروف القاسية التي لازمت البطلة "زينة" إلا أنها بقيت محافظة على إنسانيتها ولم تتخلى عنها.

12- إن الشخصيات التي عبرت عن حبها للعراق والاعتزاز بالانتماء إليه ، تشير إلى أن الرواية تميل في العمق إلى ترسيخ وتأكيد الهوية الثقافية والحضارية للعراق.

ملحق

1- التعريف بالمؤلفة إنعام كجه جي[1]:

تعتبر إنعام كجه جي من بين الشخصيات الأدبية والإسلامية التي اتسمت بحب كبير وعاطفة صادقة لوطنها.

ولدت إنعام كجه جي في بغداد عام 1952 م، ودرست في جامعتها الصحافة ، عملت في الصحافة والإذاعة العراقية قبل انتقالها إلى باريس لتكمل أطروحة الدكتوراه ب جامعة السوربون. تشتغل حاليا مراسلة في باريس لجريدة "الشرق الأوسط " في لندن ومجلة "كل الأسرة" في الشارقة والإمارات العربية المتحدة نشرت إنعام كجه جي كتابا في السيرة بعنوان "لورنا" من المراسلة البريطانية "لورنا هيلر "التي كانت متزوجة من النحات والرسام العراقي الرائد جواد سليم ، كما نشرت كتابا بالفرنسية من الأدب الذي كتبته العراقيات في سنوات المحنة والحروب. وفي عام 2004م أعدت وأخرجت فيلما وثائقيا عن الدكتورة نزيهة دليمي ، أول امرأة أصبحت وزيرة في بلد عربي عام 1959م، ومن ابرز أعمالها: سواقي القلوب عام 2005م، والحفيدة الأميركية عام 2008م، التي وصلت إلى القائمة القصيرة للجائزة العالمية للرواية العربية عام 2009م، وصدرت بالانجليزية والفرنسية والصينية. و طشاري التي وصلت إلى القائمة القصيرة عام 2014م التي صدرت بالفرنسية.

---

(1) www.arwikipidi.wiki/org ://27/05/2023 ، http ، 14:15.

2- ملخص الرواية:

تدور أحداث الرواية عن قصة صبية عراقية الأصل أمريكية الجنسية تلتحق مترجمة بالجيش الأمريكي يوم احتلاله للعراق، رواية تقبض على المأزق العراقي بتفاصيله تدور أحداثها في العراق، بعد الاحتلال الأمريكي من خلال عيني شابة أمريكية عراقية الأصل سبق لوالدها أن فر هربا من القمع. تعود إلى بلدها للعمل كمترجمة مع الجيش المحتل، فيوقظ فيها المكان الذي وصلته إليه بدافع البحث عن مصدر للرزق ذكريات وأشجانا.

زينة هي فتاة عراقية من أصول مصلاوية جاءت مع الرتل الأمريكي إبان سقوط بغداد كمترجمة بصفة مجندة أمريكية. إذن هل هي عراقية أم أمريكية، ستحمل مشاعر وطنية أمريكية أم عراقية ؟ كيف ستواجه نفسها بين هويتين؟

تجيب في احد صفحات حياتها بقولها "كيف تكون المشاعر الوطنية "خزعبلات لم تكن تعني لي الكثير، لا في طفولتي ولا في شبابي الأمريكي.

ومع مرور الأحداث في الرواية تتبدد المشتقات فتبدأ ملامح زينة العراقية بالظهور وتبرز الرواسب ويبدأ صدى صوت الجدة يقرع في الذاكرة، معلنا عودة سريعة إلى الجذور فالهوية الاجتماعية هي مزيج معقد من الرواسب والمشتقات.

صدرت رواية الحفيدة الاميريكية عام 2008م، تروي لنا الكاتبة حكاية العراق بعد الاحتلال الأمريكي من خلال شخصية البطلة زينة تدور أحداثها في كل من بغداد ، المنطقة الخضراء، الموصل. جسدت لنا رواية الحفيدة الاميريكية صورة أمريكا في المتخيل السردي العراقي المعاصر حيث أبانت عن تأثير أمريكا في العراق، من خلال الاحتكاك المباشر بين الشعب العراقي والجنود الأمريكيين أثناء مرحلة الغزو الأمريكي العراق.

تبدأ الرواية بوصول زينة إلى أمريكا ودخولها إلى جامعة أمريكية، حيث تواجهها تحديات كبيرة في التكيف مع الثقافة الجديدة والمجتمع الغربي.

تجدر زينة نفسها متناقضة بين قيمها الشرقية التي تربت عليها وبين القيم والتوقعات الغربية التي تتعرض لها في بيئتها الجديدة.

تعكس الرواية الصراعات الداخلية لزينة أو رحلتها في البحث عن الهوية الذاتية ، تحاول زينة تحقيق التوازن بين الثقافتين الشرقية والغربية، وتبحث عن مكانها وهويتها في المجتمع الأمريكي.تواجه زينة تحديات مثل التفاوت الثقافي، وصراعات الهوية والعلاقة العائلية المعقدة.

نلاحظ من خلال عنوان الرواية الحفيدة الأمريكية أن قضية الهوية حسمت لصالح الجنسية الأمريكية من طرف جيل من الأحفاد العرب لكن هذا العنوان يحمل دلالات واسعة للتأويل تثير في نفس القارئ العديد من التساؤلات حول ظروف اكتساب الجنسية الأمريكية.

تدور أحداث الرواية بين عدد من الشخصيات الرئيسية والثانوية ومن بين الشخصيات الرئيسية في الرواية من بينها زينة: هي فتاة من أصول عراقية، اضطرت عائلتها إلى الفرار من العراق إلى أمريكا بعد التعذيب الذي تعرض له والدها المذيع.

الشخصية رحمة هي جدة زينة التي رعتها واعتنت بها بسبب عمل والدتها كانت تحب زينة كثيرا.

والشخصيات الثانوية حسب ما ورد في الراوي هي:بتول أم زينة، يوسف جد رحمة، مهيمن شقيق زينة بالرضاعة، المربية طاووس، و كالفن.

الأحداث الرئيسية في الرواية حسب رأي الكاتبة هي قصة الفتاة زينة التي كانت بالفعل زينة الحياة لجدها وجدتها وملأت الدنيا عليهما، فقد تربت في أحضانهما بسبب عمل والدتها.وقضت زينة طفولتها وبداية مراهقتها في العراق. لكن بسبب التعذيب الذي تعرض

له والدها اضطرت أسرتها إلى الهجرة إلى أمريكا، فقضت أيام شبابها هناك متشربة للمبادئ الأمريكية.

بقيت زينة في أمريكا حتى الثلاثين من عمرها، وذات مرة أخبرتها صديقتها بفرصة عمل للترجمة في الجيش الأمريكي في العراق مقابل مبلغ جيد من المال. فتخيلت أن هذا المبلغ سيحل كل مشكلات أسرتها، ويساعدها على شراء سيارة جديدة والانتقال إلى أرقى الأحياء، فوجدت هذا العمل فرصة لانتشالها من الفقر والهم.

تقبل زينة بهذا العمل مقتنعة بأنها مهمة إنسانية وطنية وتعود إلى العراق كمجندة في الجيش الأمريكي، وقد شهدت هناك الحرب والدمار الذي يعانيه وطنها. باحثة عن هويتها بين الماضي والحاضر، كما ترفض جدتها لقاءها بعد معرفتها بطبيعة عملها.

تأخذ زينة إجازة من الجيش لتسافر إلى عمان بعد معرفتها بإجراء جدتها لعملية هناك.فتدخل في صراعات مع مهيمن حول قناعاتها و هويتها، وبعد العودة إلى العراق تفقد زينة جدتها وتتوقف عن العمل مترجمة في الجيش الأمريكي وتعود إلى أمريكا.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- **القران الكريم (رواية ورش).**

01/المصادر:

1- - إنعام كجه جي، الحفيدة الأميركية، الجديد، بيروت، لبنان، ط3 ، 2010.

02/ المراجع:

أ- العربية:

1- أحمد عيساوي، مقاربة وأبحاث في الفكر الإسلامي الحديث والمعاصر، دار الكتب الحديث، مصر، ط1، 2012.

2- إبراهيم محمد خريف وآخرون، العولمة وأبعادها الاقتصادية، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1 ، 2010.

3- إبراهيم محمود عبد الباقي الخطاب العربي المعاصر(عوامل التبادل الحضاري في الكتابات العربية)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، (ب.ب)، ط1، 2008.

4- حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، الدار الفنية، القاهرة، (د.ط)، 1991.

5- سالم معوش، صورة الغرب في الرواية العربية، مؤسسة الرحاب ، لبنان، ط1، 1998.

6- سعيد عبد المفتاح عاشور، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ط)1972.

7- شوقي الموسوعي، جغرافية الجدل في الفكر والفلسفة، الفن للطباعة والنشر، دمشق، ط4، 2011

8- عبداله بالقزيز، دراسة في مقالة الحداثيين، إعداد مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2007.

9- عبد الرحمان الجربيتي، عجائب الآثار، مطبعة لجنة البيان، القاهرة، ط1، 2000.

10- عبد المجيد جرادات، ثقافة المعرفة والتفكير الاستراتيجي، عالم الكتب الحديث، عمان، (د.ط)، 2017.

11- عيسى الحسن، تاريخ العرب من بداية الحروب الصليبية إلى نهاية الدولة العثمانية، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط2، 2001.

12- فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية، القاهرة، مصر، ط1، 2002.

13- فيصل عباس، العولمة والعنف المعاصر(جدلية الحق والقوة)، دار النهضة اللبنانية، بيروت، بنان، ط1، 2008.

14- قاسم السمرائي، الاستشراق(بين الموضوعية والانفعالية)، دار الرفاعي للنشر والتوزيع، السعودية، (د.ط)، 1403هـ.

15- كامل علاوي الفتلاوي، عاطف لافي مرزوق، العولمة ومستقبل الصراع الاقتصادي، دار صفاء، عمان، ط1، 2009.

16- ماجدة حمود، إشكالية الأنا والأخر(نماذج روائية)، عالم المعرفة، الرباط، المغرب، ط2، 2013.

17- محمد العربي بن عزوز، زمن هنتغنتن(صدام الحضارات ونهاية التاريخ)، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2009.

18- محمد حسين هيقل، بين الحضارتين الغربية والإسلامية، دار الوفاء، مصر، ط2، 1999.

19- محمد راتب الحلاق، نحن والأخر(دراسة في بعض الثنائيات المتداولة في الفكر العربي والمعاصر)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، (د.ط)، 1997.

20- محمد عابد الجابري، الإسلام والغرب (الأنا والأخر)، الشبكة العربية للأبحاث، بيروت، ط1، 2009.

21- مصطفى كامل، المرأة والرواية العربية، دار هوما للطبع والنشر، الجزائر، (د.ط)، (د.ت).

22- مصطفى نبيل، العرب وعلاقتهم بالغرب، كتاب العرب، المغرب، ط1، 1999.

23- هشام علي، شرق رامبو، دار العلوم، اليمن، ط1، 2004.

24- هيثم الكيلاني، العرب والصهيونية، مجلة عالم الفكر، الكويت، ط1، 1999.

ب- **المترجمة:**

1- ادوارد سعيد، الاستشراق، تر/ كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، لبنان، ط2، 1984.

2- بول ريكور، الهوية والسرد، تر/حاتم الوافرلي، دار التنوير، بيروت، لبنان، 2009.

3- ضياء الدين سردار، الاستشراق(الآداب والمعارف الغربية)، تر/فخري صالح، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، أبو ظبي، الإمارات، ط1، 2011.

ج- **الأجنبية:**

01- Dictionnaire encycL ,depique Larousse ,paris, 1960.

د- **المجلات:**

1- مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة، (الجزائر)، ع13، 2017.

2- مجلة المدونة، قسم اللغة وآدابها، جامعة البليدة، ع2، جوان2021.

3- مجلة لغة/كلام، جامعة لونيس علي، البليدة، الجزائر، 2022.

هـ- **المعاجم:**

1- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتب اللبناني، بيروت، لبنان، (د. ط)، 1982.

2- الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تح/ محمد المنشاوي، دار الفضيلة، مصر، (د. ط)، (د. ت)

3- أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، دار الكتب العلمية، لبنان، ج11، (د. ط)، (د. ت).

4- الفيروز أبادي، قاموس المحيط، دار الحديث، مصر، ط1، 2008.

5- مجموعة من المؤلفين، المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة للشؤون، المطابع الأميرية، مصر، (د. ط)، 1983،

6- مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة، مصر، (د. ط)، 2007.

و- **الرسائل الجامعية:**

1- باديس فوغالي، جدلية الشرق والغرب في الرواية العربية، مذكرة ماجستير، كلية الآداب، جامعة قسنطينة، 2012/2011

2- سعاد عمراوي، جدلية الشرق والغرب في رواية موسم الهجرة إلى الشمال، لطيب صالح، مذكرة ماستر، بإشراف باديس فوغالي، كلية الآداب واللغات، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، 2016.

3- عماد بلوافي، جدلية الشرق والغرب في رواية عصفور من الشرق لتوفيق الحكيم، مذكرة ماجيستار بإشراف حسناء بروش، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، 2014.

4- كوثر حميس و ذهبية هاشمي، الجدلية التاريخية في المفهوم الفلسفي (كارل بورل أنموذجا)، مذكرة ماجستير، بإشراف بو داني محمد، جامعة الجيلاني بونعامة، خميس مليانة، الجزائر، 2020.

ز- **المواقع الإلكترونية:**

http/:// www.arwikipidi.wiki/org

01-

02- arab.www//:/http-encg.com

03- ws.shameLa//:/http

04- eLakher.eLana.www.com.re

فهرس الموضوعات

العنوان	الصفحة
الشكر والعرفان	
مقدمة	أ- ج
الفصل الأول: ثنائية الشرق والغرب في الرواية	5 – 29
1/ ضبط المصطلحات :	5 – 9
2/احتكاك الشرق مع الغرب(العلاقة التاريخية)	9 – 23
3- مواقف الشرق اتجاه الغرب في الرواية العربية	23 – 29
الفصل الثاني: الصراع ألهوياتي وصوره في رواية الحفيدة الأميركية لإنعام كجه جي	31 – 57
1-الهوية	31 – 34
2/ صراع الذات بين الشرق والغرب	34 – 45
2-1 صراع "زينة" مع ذاتها	35 – 44
2-2 صراع " بتول" مع ذاتها	44 – 45
3- الصراع ألهوياتي بين الشخصيات	46 – 49
3-1 صراع زينة مع المؤلفة:	46
3-2 صراع زينة مع الجدة رحمة	47
3-3 صراع الذات مع مهيمن:	47 – 49
4- صور الشرق و الغرب في الرواية	49 – 57
4-1 صور الغرب (أمريكا)	49 – 53
4- 2 صور الشرق (العراق)	53 – 57
خاتمة	59 – 60
ملحق	62 – 65
01- التعريف بالمؤلفة إنعام كجه جي	62
02- ملخص الرواية	63 – 65
قائمة المصادر والمراجع	67 – 71
فهرس الموضوعات	73

ملخص البحث:

تعد قضية شرق والغرب من أهم القضايا التي طرحت في المتون الروائية العربية، بدءا من رفاعة الطهطاوي إلى اليوم، ذلك أن العلاقة بين الشرق والغرب تشكل جدلية قائمة في الحياة، وتنعكس سلبا و إيجابا على الواقع الحياتي.

وهذا ما أثارته رواية الحفيدة الأميريكية لإنعام كجه جي بشكل متميز ومختلف، فقد تعرضت لمواضيع تلامس الواقع والمجتمع مثل: الهوية، والتبعية، والتحول الثقافي، والانتماء، وصورت لنا الشرق والغرب ككيانين مختلفين تماما، وذلك من خلال عرض الفروقات المتشكلة بين الثقافتين، وإظهار التوترات والتحديات التي نشأت بسببها، بما في ذلك من صراعات ومشاكل هوياتية عايشتها الشخصيات الرئيسية في الرواية.

وهذا ما حاولنا بسطه في فصلي هذا البحث، ففي الفصل الأول تناولنا ثنائية الشرق والغرب في الرواية العربية، االعلاقة التي تربطهما، محاولين في الفصل الثاني استجلاء الصراع الهوياتي بين الشرق والغرب في رواية الحفيدة الأميريكية، مع رصد الصور والرؤى المتبادلة بينهما.

Study summary :

This is what the novel of the American granddaughter, InaamKachaji, raised in a distinct and different way. She was exposed to topics that touch reality and society, such as : identity, dependence, cultural transformation, and belonging, and she portrayed the East and West as two completely different entities, by presenting the differences formed between the two cultures, and showing the tensions and challenges. Which arose because of it, including the identity conflicts and problems experienced by the main characters in the novel. This is what we tried to simplify in the two chapters of this research. In the first chapter, we dealt with the dualism of East and West in the Arabic novel, and the relationship that binds them. In the second chapter, wetried to clarify the identity conflict between East and West in the American Grand daughter novel, while observing the mutual images and visions between them.